البحث الخامس

التقابل في سورة الحج
(بلاغة المقابلة والمطابقة)
دراسة تحليلية

تأليف

د.فيصل بن حمود المخيمر الشمري

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بقسم الثقافة الإسلامية

كلية التربية - جامعة حائل - المملكة العربية السعودية

التقابل في سورة الحج (بلاغة المقابلة والمطابقة)
دراسة تحليلية

فيصل بن حمود المخيمر الشمري
قسم الثقافة الإسلامية، كلية التربية، جامعة حائل، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: fasel٠٤@hotmail.com

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان أن مبحث التقابل في درس البلاغة العربية مبحث ثري الأرجاء غزير العطاء في كشفه عن مواطن الجمال والإعجاز في الخطاب القرآني، وأن الإعجاز والإحكام والتكامل والانسجام كخصائص من خصائص النص القرآني لجديرة بمزيد تجليتها من خلال مباحث البلاغة العربية، وإن من أوفى هذه المباحث بذلك مبحث التقابل، وكذلك الكشف ولو عن قليل شذرات من أوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، عبر الدرس البلاغي للتقابل في سورة الحج، وأيضا الإفادة من آليات التقابل –بجناحية: المقابلة والطباق– في درس ما تزخر به سورة الحج المباركة من ألوان التقابل وما ينفتح عليه من طاقات بلاغية وجمالية، لفتًا للأنظار إلى هذه الطاقات والإمكانات، والإسهام ولو بجهد المحب المقل في خدمة القرآن الكريم ودرسه البلاغي والبياني، كشفًا عن بعض مواطن إعجازه التي يسلك إليها هذا البحث، واعتمدت في البحث على المنهج الوصفي، وذلك بدءًا من جمع الآيات التي قامت بلاغتها على ظاهرة التقابل في سورة الحج، مرورا بملاحظتها ووصفها وتحليلها والكشف عن تأثيرها النفسي والذهني، واستخلاص نتائج كل ذلك منها، مستخدمًا في ذلك كله المنهج الاستقرائي، وتوصلت الى نتائج منها: كان للبلاغيين رؤى اختلفت في غير تنافر حول مفاهيم المصطلحات ذات الصلة بمصطلح التقابل؛ كالطباق، والتكافؤ، والتضاد، والتخالف، والتناقض، إلا أن حاصل هذه الرؤى كان سلْك مفاهيم هذه المصطلحات في سياق اشتراكها في الدلالة على التقابل، وأنها في جملتها تشكل

ضروبًا من العلاقات التي يقوم عليها التقابل، وأيضا شهدت الدراسات الحديثة نقلة نوعية في مجال الدرس اللغوي واللساني والأدبي، بما كشفت عنه من إغراق البلاغة التقليدية في الجزئية والفصل بين النص وبين جمالياته؛ مما سيطر عليها طويلاً من الوقوف عند حدود الجملة، وهو ما تمخض عن الاجتياز بالبلاغة وبمبحث التقابل معها إلى أفق نظرة كلية أبعد من حدود الألفاظ والجمل، ترى أن تحقق المعنى لا يكون إلا بربط أجزاء النص، ويوصي البحث بمزيد عناية حركة البحث العلمي بالدراسات البلاغية للقرآن الكريم، في ضوء الإفادة من النقلة النوعية التي أحدثتها المدارس النقدية الحديثة، لتطوير البلاغة العربية.

الكلمات المفتاحية: التقابل، سورة الحج، بلاغة، المقابلة، المطابقة، دراسة تحليلية.

Oppositeness in Surah Al-Hajj

(The Rhetoric of Opposite and Conformity)

Analytical study

Faisal bin Hamoud Al-Mukhaimar Al-Shammari

Department of Islamic Culture, College of Education, University of Hail, Kingdom of Saudi Arabia

E-mail: fasel٠٤@hotmail.com

Abstract

The research aims to show that the topic of contrast in the lesson of Arabic rhetoric is a topic that is rich in scope and abundant in revealing the aspects of beauty and miracles in the Qur'anic discourse, and that miracle, precision, complementarity, and harmony as characteristics of the Qur'anic text deserve to be further revealed through the topics of Arabic rhetoric, and that who is most worthy of these topics Thus, the study of contrast, as well as revealing even a few fragments of the aspects of the rhetorical miracle of the Holy Qur'an, through the rhetorical lesson of contrast in Surah Al-Hajj, and also benefiting from the mechanisms of contrast - under the wings: contrast and counterpoint - in studying the types of contrast that the blessed Surat Al-Hajj abounds with and what it opens up to. Of rhetorical and aesthetic energies, drawing attention to these energies and possibilities, Contributing, even with the effort of a passionate lover, to the service of the Holy Qur'an and its rhetorical and explanatory study, revealing some of the aspects of its miraculousness to which this research is directed. In the research, I relied on the descriptive approach, starting with the collection of verses whose eloquence is based on the phenomenon of correspondence in Surah Al-Hajj, passing through its observation, description, and analysis. And revealing its psychological and mental impact, and extracting results from it, using the inductive method in all of this, and I reached results including: The

rhetoricians had visions that differed without contradiction about the concepts of terms related to the term correspondence; Such as counterpoint, equivalence, opposition, contrast, and contradiction. However, the outcome of these visions was the understanding of the concepts of these terms in the context of their participation in indicating opposition, and that in their entirety they constitute types of relationships upon which opposition is based, Recent studies have also witnessed a qualitative shift in the field of linguistic, linguistic, and literary studies, with what they revealed of the drowning of traditional rhetoric in detail and the separation between the text and its aesthetics. What dominated her for a long time was stopping at the boundaries of the sentence, which resulted in crossing rhetoric and the study of its correspondence to the horizon of a comprehensive view beyond the limits of words and sentences. She believes that meaning can only be achieved by linking parts of the text, and the research recommends that the scientific research movement pay more attention to rhetorical studies of the Qur'an. Al-Karim, in light of benefiting from the qualitative shift brought about by modern critical schools to develop Arabic rhetoric.

Keywords: Contrast, Surah Al-Hajj, Eloquence, Contrast, Conformity, Analytical study.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، أنزل على نبيه ورسوله ومصطفاه الصادق الأمين، قرآنه العظيم وكتابه المبين، وبعثه به –هو الأمي– في أمة الأميين، وهم أهل الفصاحة والبلاغة والبيان، فكان معجزة صدقه، وبرهانه، وحجة الحق وتبيانه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا كفء ولا ند، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن هديه إلى الحق سبيله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وصحابته شموس الأنوار، ومن اتبع سنته واقتفى محجته إلى يوم الدين.

أما بعد، فمهما كرّت السنون والأعصر، وتطاولت القرون والأدهر، فلن يزال القرآن الكريم أرفع مراتب الفصاحة وأسمى مراقي البلاغة، وذروة ذرا البيان، فلا عجب أن تحدى به –سبحانه– أرباب الفصاحة والبلاغة والبيان أن يأتوا بسورة من مثله. ولا يزال هذا التحدي قائمًا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولن يزال عجز المعاندين عنه إلى يوم الدين، ولن تزال شواهد إعجازه وبرهان ربانية مصدره تنجلي وتتكشف كل حين. وإيماءً إلى بعض ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلهية، والخلقية والسياسية وجد بينها وبين ما جاء في الكتب الإلهية التوراة والإنجيل والزبور وصحف الأنبياء تفاوتًا عظيمًا، ووجد بين ذلك وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم، فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه. وجميع عقلاء بني آدم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه».

فلا نسق مثل بديع نسقه، ولا نظام مثل عجيب نظمه، ولا غنى بالمعاني أو ثراء بالدلالات على حقائق الحق في دين الإسلام مثل ما حوى بين دفتيه. أما وضوحه ويسر فهمه وسلامته من الغموض والعسر والعنت والإبهام فسمة وحدها من سمات

خطابه ودلائل إعجازه: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ (١)، ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ ﴾ (٢).

ولهذا – أو لبعض هذا– ظل القرآن الكريم سر نجاح الدعوة إلى الإسلام، وزاد دعاته، وبرهان الصدق على حقائق الدين القويم.

وكم هي كثيرة تلك الأسرار التي تتجلى وتتكشف لكل سابح في بحار أنوار القرآن، وأكثر منها وأعمق منها تلك الأسرار التي تتسرب إلى نفس قارئه وقلبه وعقله وضميره، ويعجز عن أن يبين عنها بكلام، فإنه واجد في كلماته وعباراته وتراكيبه سلطانًا وسطوة يملكان عليه كيانه، ودقة وفخامة وقوة وجلالًا وجمالًا وحلاوة واتساقًا ورونقًا لا يحيط بها وصف واصف.

ولهذا أيضا – أو لبعض هذا– ظل القرآن معينًا لكل وارد، لا ينضب ولا ينقضي عجيب عطائه من نفائس كنوزه، فترادفت عليه أفواج وأفواج من الفقهاء والمفسرين والأصوليين واللغويين، وكان للبلاغيين على سواحله وقفات، وبين الموج المتراكب لبحور بلاغته سبحات، فأخذ بألبابهم ما حوى من الكلام المبين وقد انتظمت فيه كل أجناس القول ومناهج البيان، وتلوُّن الألفاظ بين جزل قوي فخم وعذب رائق سهل ينساب في النفس انسياب النمير، وكل في موضعه.

فإذا الذي جاء بين دفتيه هو أفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف، مضمنًا أصح المعاني من توحيد الله عزت قدرته، وتنزيه له في صفاته، ودعاء إلى طاعته، وبيان بمنهاج عبادته، من تحليل وتحريم، وحظر وإباحة، ووعظ وتقويم، وأمر بمعروف ونهي عن منكر، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها، واضعًا كل شيء منها في موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ولا يرى في صورة العقل أوفى بمعناه

(١) سورة القمر آية: ١٧.

(٢) سورة هود آية: ١.

منه، كل ذلك في إيجاز وجزالة لا تُدانى.

ولقد أقرت البلاغة العربية – وحق عليها أن تقر– أنها ما كان لها أن تكون ما هي عليه من تبيان جماليات فن القول في العربية؛ لولا القرآن الكريم، وما تكشف لها من أسراره وذخائره ونفائس درره ولآلئه، فوفّت بحق هذا الإقرار ما وسع علماءها الوفاء، فأرصدوا آفاق عقولهم على خدمته وتفهُّم آياته وإبراز أسرار بلاغته ودقائق فصاحته.

ومن مباحث البلاغة وفنون القول العربي كان لمبحث التقابل –بجناحيه: المقابلة والطباق– حظ وافر من تجلية المقتضيات البلاغية في القرآن الكريم، وإبراز معاني الصور البيانية وجماليات السياقات القرآنية وإحكام ترابطها وتكاملها وانسجامها. وقد كان هذا المبحث خليقًا بذلك، لما لجمالية التقابل من آثار عميقة تحرك النفس إلى المضامين البلاغية وتستثير الذهن إلى فنون علم البديع.

وعلى صعيد البلاغة والبيان والبديع، ومن منظور مبحث التقابل؛ تتفرد سورة الحج المباركة بأفانين من البيان وروائع من البديع ونفائس من البلاغة يكشف عنها ما حفلت به آياتها ومعانيها ودلالاتها من التقابل، سواء اتخذ صورة المقابلة أو الطباق، وعلى نحو يميزها في الدرس البلاغي عن كثير من سور القرآن الكريم.

وانتهالًا من هذا المورد؛ وقع اختياري على موضوع هذا البحث فجعلته تحت عنوان: **(التقابل في سورة الحج – بلاغة المقابلة والمطابقة .. دراسة تحليلية)**

أسباب اختيار الموضوع:

إن شرف خدمة القرآن الكريم –في أي حيز صغير على أي ساحل من سواحله العريضة– لا يعوز الباحث معه أيما سبب يستحثه إليه. فإذا ما اقتضت أصول البحث العلمي الكشف عن أسباب لاختيار موضوع البحث، فبالإمكان الإضافة إلى هذا السبب ما يمكن إجماله على الإيجاز التالي:

١- أن غوص الدرس البلاغي لاستخراج دقائق القرآن الكريم وأسرار بلاغته؛ لهو إظهار لمواطن الإعجاز البلاغي فيه، والتي هي أحد الوجوه الأصيلة لإعجازه.

٢- أن كل سورة من سور القرآن الكريم تتفرد بأنساق بلاغية وبيانية تستثير الدرس البلاغي لاستكناه روائعها. ولقد امتازت سورة الحج المباركة بأنساق وألوان من بلاغة التقابل جديرة بأن تُستفرغ فيها طاقات الدرس البلاغي وإمكاناته في تجليته بديع بيانها ورفيع بلاغتها.

٣- أن التقابل كمبحث من مباحث البلاغة العربية يمتاز عن غيره بانطلاقه من منطلقات ذهنية منطقية، تستثير الذهن في إثر المعاني والدلالات ليعود منها إلى النفس بدقائق بيانية تستقر فيها نشوة ولذة وإجلالًا لكتاب الله المبين.

أهمية الموضوع:

لئن كانت الأسطر والصفحات السابقة تلقي بوميض من الضوء على أهمية موضوع هذا البحث، فإن بالإمكان إضافة بعض وجوه أهميته الأخرى، التي يمكن إجمالها على النحو التالي:

١- أن موضوع البحث - تحت عنوانه وفي نطاقه- يمثل إضافة إلى الدرس البلاغي القرآني.

٢- أن مبحث التقابل في درس البلاغة العربية مبحث ثري الأرجاء غزير العطاء في كشفه عن مواطن الجمال والإعجاز في الخطاب القرآني.

٣- أن الإعجاز والإحكام والتكامل والانسجام كخصائص من خصائص النص القرآني لجديرة بمزيد تجليتها من خلال مباحث البلاغة العربية، وإن من أوفى هذه المباحث بذلك مبحث التقابل.

أهداف البحث:

بالإضافة إلى ما يتبلور من أهداف لهذا البحث في مضمون الصفحات والأسطر

السابقة، يمكن إجمال بعض أهدافه الأخرى على الإيجاز التالي:

١- الكشف ولو عن قليل شذرات من أوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، عبر الدرس البلاغي للتقابل في سورة الحج.

٢- الإفادة من آليات التقابل -بجناحية: المقابلة والطباق- في درس ما تزخر به سورة الحج المباركة من ألوان التقابل وما ينفتح عليه من طاقات بلاغية وجمالية، لفتًا للأنظار إلى هذه الطاقات والإمكانات.

٣- الإسهام ولو بجهد المحب المقل في خدمة القرآن الكريم ودرسه البلاغي والبياني، كشفًا عن بعض مواطن إعجازه التي يسلك إليها هذا البحث.

إشكالية البحث:

إن يقين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بإعجاز القرآن الكريم، وخاصة في وجهه البلاغي والبياني، ليلقي على الدرس البلاغي العربي بثقل من واجب مزيد الكشف عن مواطن الإعجاز، وبسطه محوطًا بضوابط البحث العلمي.

وذلك ما يعمد البحث إلى الاضطلاع به والتفاعل مع إشكاليته، من خلال تناول بلاغة التقابل والمطابقة في سورة الحج المباركة.

تساؤلات البحث:

ينطلق البحث من تساؤل رئيس؛ يمكن صوغه في العبارة التالية:

ما هو مفهوم التقابل في البلاغة العربية؟

ومن هذا التساؤل تتفرع عدة من الأسئلة الأخرى التي يمكن إجمالها على الإيجاز التالي:

١- ما هي أهم المصطلحات ذات الصلة بمصطلح التقابل؟

٢- ما هي ضروب التقابل الواردة في آيات سورة الحج؟

٣- ما هي الدلالات البلاغية والسمات الجمالية للتقابل في آيات سورة الحج؟

٤- ما هي أبرز الفروق بين مفهوم التقابل في درس البلاغة العربية التقليدية، واللسانيات الحديثة والمعاصرة؟

حدود البحث:

يتأطر هذا البحث في حدود آيات سورة الحج التي قامت بلاغتها على ظاهرة التقابل.

الدراسات السابقة:

بعد الطمأنينة إلى ما بذلت من وسع البحث والاستقصاء؛ لم أقف فيما طالعت على بحث يتناول موضوع التقابل في سورة الحج. وذلك أبرز ما يطمئن إليه البحث من مظاهر جدته وجدارته بالدرس.

منهج البحث:

بعد إمعان النظر في مناهج البحث العلمي اطمأنت رؤيتي إلى الاعتماد في البحث على المنهج الوصفي، وذلك بدءًا من جمع الآيات التي قامت بلاغتها على ظاهرة التقابل في سورة الحج، مرورا بملاحظتها ووصفها وتحليلها والكشف عن تأثيرها النفسي والذهني، واستخلاص نتائج كل ذلك منها، مستخدمًا في ذلك كله المنهج الاستقرائي.

خطة البحث:

حتى يحيط البحث بما ألمحت إليه هذه المقدمة، وما أشارت إليه أسباب اختيار الموضوع، ووجوه أهميته، وأهدافه، وإشكاليته، وتساؤلاته؛ جاءت خطة البحث على السياق التالي:

المقدمة: وفيها التعريف بموضوع البحث، وأسباب اختياره، وأهميته، وأهدافه، وإشكاليته، وتساؤلاته، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهجه، وخطته.

المبحث الأول: مفهوم التقابل والمصطلحات ذات الصلة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالتقابل في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: المصطلحات ذات الصلة.

المبحث الثاني: التقابل بين القديم والحديث، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التقابل عند القدماء.

المطلب الثاني: التقابل عند المحدثين.

المبحث الثالث: آيات التقابل في سورة الحج، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بسورة الحج.

المطلب الثاني: آيات التقابل في سورة الحج.

الخاتمة.

المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

المبحث الأول
مفهوم التقابل والمصطلحات ذات الصلة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
التعريف بالتقابل في اللغة والاصطلاح

مفهوم التقابل:

نسلك في وجازة هذا الموضع إلى تعرف مفهوم التقابل، بحسبان أن تعرُّف مفهوم أي مصطلح هو المدخل الأصح لدرسه ودرس ما يتعلق به، فنبتدئ بتعرف مفهوم التقابل في اللغة، تم نعقب ذلك بتعرف مفهومه في الاصطلاح، وذلك على النحو التالي:

أولا: التقابل في اللغة:

التقابل لغة: مصدر: "تقابَل"، والمجرد منه: "قَبَل".

وفي مقاييس اللغة، أعاد ابن فارس هذه المادة كلها إلى المواجهة، فنجده يقول: «القاف والباء واللام أصل واحد صحيح تدل كلمه كلها على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرع بعد ذلك »(١).

ويقول الخليل: «والقِبَل: الطاقة، تقول: لا قِبَل لهم. وفي معنى آخر هو التلقاء، تقول: لقيته قِبَلًا أي مواجهة »(٢).

(١) أحمد بن فارس ابن زكريا، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام محمد، هارون، (ج ٤، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م)، ٥: ٥١.

(٢) الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين"، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ٥: ١٦٦.

وفي مختار الصحاح يقول الرازي: « والمقابلة: المواجهة، والتقابل: مثله »[١].

وفي المحكم والمحيط يقول ابن سيده: « وقابل الشيء بالشيء مقابلة، وقبالًا: عارضه.

ومقابلة الكتاب بالكتاب، وقباله به: معارضته.

وتقابل القوم: استقبل بعضهم بعضا، وقوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾﴾[٢] جاء في التفسير: أنه لا ينظر بعضهم في أقفاء بعض»[٣].

ويقول الزمخشري في أساس البلاغة: « ولقيته قبلًا وقبلًا وقبلًا: مواجهة وعيانًا»[٤].

ويقول ابن منظور في لسان العرب: « المقابلة: المواجهة، والتقابل مثله. وهو قبالك وقبالتك أي تجاهك »[٥].

وفي القاموس المحيط يقول الفيروزآبادي: « وقابله: واجهه .. وتقابلا:

(١) محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، "مختار الصحاح"، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط جديدة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م)، ص(٢٤٦).

(٢) سورة الحجر آية: ٤٧.

(٣) أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم" تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م)، ٦: ٤٢٩.

(٤) جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، "أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل، عيون السود، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م)، ٢: ٤٩.

(٥) محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب". تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، (د.ط، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م)، ١١: ٥٤٠.

تواجها»[١].

ومن خلال تأمل المعاني السابقة التي يشير إليها الأصل اللغوي "قابل" يسهل تبين أنها تدور حول معنى المواجهة، وإن كان ذلك لا ينفي أن يشير إلى بعض المعاني الأخرى؛ كالطاقة، كما قال الخليل، أو المعارضة، كما قال ابن سيده.

ثانيًا: التقابل في الاصطلاح:

للتقابل أو المقابلة في الاصطلاح مفهوم بينه علماء البلاغة بالقول إنه عبارة عن: أن يؤتى في الأسلوب بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، موفرًا أقصى طاقات التضاد الدلالي[٢].

وفي التمثيل لما يعنيه هذا المفهوم – على هذا النحو – قال ابن معطي [من الطويل] :

هَاكَ وفي ذِكْرِ المقابلةِ اسْتَمِعْ طباقًا حَوَتْهُ فارْتَقِبْ مِنْهُ آتَيا

فتًى تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ على أنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا[٣]

وموضع التقابل هاهنا هو في البيت الثاني، متمثلًا فيما بين قوله "يسر صديقه" و"يسوء الأعاديا"، ويقوم هذا التقابل على الطباق بين الألفاظ كما في "يسر" و"يسوء"،

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، تحقيق: أنس محمد، الشامي، زكريا جابر، أحمد، (القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م)، ص (١٠٤٦).

(٢) ينظر: محمد عبد المنعم خفاجي، "نحو بلاغة جديدة"، (مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٠م)، ص (١٦٦)، وعبد العزيز عتيق، "علم البديع"، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت)، ص (٨٤).

(٣) ينظر: يحيى بن معطي، " البديع في علم البديع"، تحقيق ودراسة د: محمد مصطفى أبو شارب، (ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٣م)، ص (١١٣)، والبيت الثاني للنابغة الجعدي، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، "الشعر والشعراء"، (ط٤، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م)، ١: ٢٨٤.

وكذا بين "صديقه" و"الأعاديا"، وأيضًا بين كلا التركيبين أو الجملتين المتقابلتين اللتين وردت فيهما هذه الألفاظ المتقابلة.

وتحديد مفهوم التقابل على هذا النحو هو ما اعتمده وصححه السيوطي، إذ يشترط في هذا التطابق اللفظي أن يكون قائما على الترتيب؛ إذ يقول: "ومنه نوع يسمى المقابلة، وهي: أن يذكر لفظان فأكثر، ثم أضدادهما على الترتيب"(١).

وبالتأمل في ذلك يمكن القول: إنه إذا كان معنى المواجهة هو ما يعد الإطار الأعم الذي يدخل فيه مفهوم التقابل أو المقابلة، فإن إطار المواجهة هذا نفسه ينطوي على مفاهيم أخرى قريبة أو متداخلة أو متماسَّة مع مفهوم التقابل؛ كالطباق، والتكافؤ، والتضاد، والمخالفة، والتناقض. وهي المفاهيم التى نعرّج في حيز هذا الموضع على تبين مدلولاتها الاصطلاحية في علم البلاغة، وذلك على وجيز ما يعرض له المطلب التالي.

(١) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن". (د.ط، القاهرة: الهيئة المصرلية العامة للكتاب، د.ت)، ٣: ٢٢٦.

المطلب الثاني
المصطلحات ذات الصلة

حتى يستقيم للبحث الوقوف على دقيق مفهوم التقابل – في نحو ما يقصد إليه هذا المبحث– يحسن بنا أن نعرض في المطلب الماثل لأهم المصطلحات ذات الصلة بمصطلح التقابل؛ لتبين مفهوم كل منها، وأبرز ما يتلاقى فيه مع مفهوم التقابل، أو يتمايز به عنه.. وذلك على النحو التالي:

١ـ التقابل والطباق:

أ- الطباق لغة:

في بيان معنى الطباق أو المطابقة لغة يقول الرازي: « والمطابقة: الموافقة، والتطابق: الاتفاق، وطابق بين الشيئين: جعلهما على حذو واحد وألزقهما، وأطبقوا على الأمر، أي: اتفقوا عليه »(١).

ويؤكد على هذا المعنى ابن منظور، إذ يقول: « المطابقة: الموافقة. والتطابق: الاتفاق »(٢).

وهو المعنى الذي اعتمده أيضًا الفيروزآبادي، إذ يقول: «...والمطابقة: الموافقة، ومشي القيد، ووضع الفرس رجليه موضع يديه... »(٣).

ب- الطباق اصطلاحًا:

عند التأمل في بيان البلاغيين لمفهوم الطباق أو المطابقة يتأكد بأن هناك اختلافًا عندهم بين مفهومه اللغوي الذي بينته الإشارات السابقة، وبين مفهومه الاصطلاحي عندهم. وذلك ما يفضى إليه التأمل في قول ابن المعتز في كتابه "البديع"، والذي جعل

(١) الرازي، "مختار الصحاح"، ص (١٨٨).
(٢) ابن منظور، "لسان العرب"، ١٠: ٢٠٩.
(٣) الفيروزآبادي "القاموس المحيط"، ص (٩٠٣).

فيه المطابقة هي الباب الثالث من أبوابه الخمسة؛ حيث يقول فيه: « قال الخليل رحمه الله: يقال: طابقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد، وكذلك قال أبو سعيد، فالقائل لصاحبه: أتيناك لتسلك بنا سبيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان، قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب... »(١).

ويعلق بعض البلاغيين المعاصرين على ما ذكره ابن المعتز؛ بالقول: « وهنا يظهر أول إيضاح للطباق الاصطلاحي، حين بين ابن المعتز موضع المطابقة من الكلام، في تعليقه السابق... »(٢).

وعلى نحو من التماثل بين فهم ابن المعتز للطباق أو المطابقة، نجد السكاكي يؤكد على هذا الفهم؛ بقوله: « وهي أن تجمع بين متضادين... »(٣).

ومثل ذلك ما أبان عنه الجرجاني؛ بقوله: « وأما التطبيق، فأمره أبينُ، وكونه معنويًا أجْلَى وأظهر، فهو مقابلة الشيء بضدِه »(٤).

ومن المعاصرين سليمان الطوفي؛ إذ يقول في موافقة ظاهرة على هذا الكلام: «وهي عند الأكثرين مقابلة الشيء بضده كالسواد والبياض، والليل والنهار »(٥)، وعلى هذا المعنى كان قد أكد القزويني؛ بقوله: « المطابقة: وتسمّى الطباق، والتضادّ أيضا،

---

(١) عبد الله ابن المعتز، "البديع"، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس: إغناطيوس كراتشقو فسكي، (دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ص (٣٦).

(٢) منى علي سليمان الساحلي، "التضاد في النقد الأدبي" (منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، د ط، ١٩٩٦م)، ص (٧٥).

(٣) يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، " مفتاح العلوم"، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م)، ص (١٧٩).

(٤) عبد القاهر الجرجاني، " أسرار البلاغة"، صححها: محمد رشيد رضا، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م)، ص (٢٠).

(٥) سليمان الطوفي، "الإكسير في علم التفسير"، تحقيق: عبد القادر حسين، (ط١، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، ١٩٧٧م)، ص (٢٥٩).

وهى الجمع بين متضادّين، أي: معنيين متقابلين في الجملة »[١].

وفي كتابه "نقد الشعر" نجد قدامة بن جعفر قد نحا إلى مخالفة الآخرين في تسمية هذا المفهوم؛ حيث أطلق عليه مصطلح "التكافؤ" ونظر إلى الطباق على أنه اتفاق لفظتين في البناء واختلافهما في المعنى، فيقول في باب ائتلاف اللفظ والمعنى: "...فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها..."[٢]، وهذا الذي ذهب إليه قدامة يقابل عند البلاغين مصطلح "الجناس".

وبالتأمل في جوانب رؤى البلاغيين لمفهوم الطباق أو المطابقة اصطلاحًا، يستبين أن مكمن الاختلاف – الذي أشرنا إليه – بين المعنى اللغوي للطباق وبين معناه الاصطلاحي كما اعتنقه البلاغيون يتمثل في قيام المعنى اللغوي للطباق أو المطابقة على الموافقة، في حين يقوم المعنى الاصطلاحي له على الجمع بين الضدين.

ج- الفرق بين الطباق والتقابل:

نتلمس الفرق بين الطباق والتقابل أو المقابلة فيما يوضحه السيوطي نقلًا عن ابن أبي الأصبع المصري، إذ يقول: « قال ابن أبي الإصبع: والفرق بين الطباق والمقابلة من وجهين:

أحدهما: أن الطباق لا يكون إلا من ضدين فقط، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد من الأربعة إلى العشرة.

(١) محمد بن عبد الرحمن القزويني جلال الدين، "تلخيص المفتاح"، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، (دار الفكر العربي)، ٤: ٢٩٦.

(٢) أبو الفرج قدامة بن جعفر، "نقد الشعر" تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، ط (٣)، د.ت، ص (١٦٢).

والثاني: أن الطباق لا يكون إلا بالأضداد، والمقابلة بالأضداد وبغيرها »[١].

وفي مزيد من تدقيق الفرق بين الطباق والمقابلة نتأمل في تعريف القزويني للمقابلة، إذ يقول: « وهى أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، بما يقابل ذلك على الترتيب »[٢].

ومن ذلك يمكن تبيُّن أن هناك اختلافًا بين البلاغيين في تحديدهم وتدقيقهم للفرق بين الطباق والمقابلة، ومكمن هذا الاختلاف هو في أيهما أعم من الآخر، وكانوا من ذلك على رأيين:

الرأي الأول: ويتمثل في أن الطباق أعم من المقابلة، فالطباق أصل والمقابلة فرع، وقد أخذ بهذا الرأي الإمام الخطيب القزويني؛ إذ يقول: "ودخل في المطابقة ما يخص باسم المقابلة"[٣].

الرأي الثاني: وهو أن المقابلة أعم من الطباق، فالمقابلة أصل والطباق فرع، وقد أخذ الكثيرون بهذا الرأي، يمثلهم من القدماء ابن حجة الحموي؛ إذ يقول: "المقابلة أدخلها جماعة في المطابقة، وهو غير صحيح، فإن المقابلة أعم من المطابقة، وهي التنظير بين شيئين فأكثر وبين ما يخالف وما يوافق"[٤]، ويمثلهم من المحدثين عبد العزيز عتيق؛ إذ يقول في ذلك: "والبلاغيون مختلفون في أمر المقابلة، فمنهم من يجعلها نوعًا من المطابقة ويدخلها في إيهام التضاد، ومنهم من جعلها نوعًا مستقلًا

(١) السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن"، ٣: ٣٢٧.

(٢) محمد بن عبد الرحمن القزويني جلال الدين، "الإيضاح في علوم البلاغة"، قدم له وبوبه وشرحه، علي بو ملحم، (ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٩١م)، ص (٣٢٢).

(٣) القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ص (٣٢١).

(٤) ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري، " خزانة الأدب وغاية الأرب"، تحقيق: عصام شقيو، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م)، ١: ١٢٩.

من أنواع البديع، وهذا هو الأصح؛ لأن المقابلة أعم من المطابقة"[١].

ويخلص النظر من ذلك إلى القول: إن اختلاف علماء البلاغة حول المعنى الاصطلاحي لكل من الطباق والمقابلة هو مما يدل على غموض معنى كل منهما وعدم القطع بمعنى اصطلاحي لأي منهما، وهو ما يتأكد بالنظر إلى ما لاحظه بعض البلاغيين المعاصرين من أن: "من البلاغيين من لم يفرق تفرقة واضحة بين أمثلة الطباق وأمثلة المقابلة، من ذلك مثلا أن قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ ﴾[٢] هو عند بعضهم من شواهد المقابلة، وعند صاحب بديع القرآن من أمثلة الطباق، ومن ذلك أن قوله – عز وجل–: ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾[٣] ورد عن صاحب الإتقان في علوم القرآن مثالًا من أمثلة الطباق، والمقابلة معًا في صفحة واحدة"[٤].

ويتأيد هذا الاستخلاص بالتأمل في أن الآيات في قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾[٥] هي عند البلاغيين من شواهد المقابلة بينما يوردها صاحب التعريفات من شواهد المطابقة، فهو يقول في تعريف هذه الأخيرة : "المطابقة: هي أن يجمع بين شيئين متوافقين وبين ضديهما، ثم إذا شرطتهما بشرط، وجب أن تشترط ضديهما بضد ذلك الشرط، كقوله – تعالى–: ﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ

(١) عبد العزيز عتيق، "علم البديع"، ص (٦٦).

(٢) سورة النجم آية: ٤٣، ٤٤.

(٣) سورة التوبة آية: ٨٢.

(٤) أحمد أبو زيد، "التناسب البياني في القرآن"، (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، د. ط، ١٩٩٢م)، ص (١٣٤).

(٥) سورة الليل الآيات ٥–١٠.

﴿ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ ﴾: فالإعطاء والاتقاء والتصديق، ضد المنع والاستغناء والتكذيب، والمجموع الأول شرط لليسرى، والثاني شرط للعسرى"[١].

٢ـ التقابل والتكافؤ:

أ- التكافؤ لغة:

إن المعاني التي يشير إليها لفظ التكافؤ ليست بالقليلة، كما تشير إلى ذلك معاجم اللغة. ومن ذلك ما يبين عنه: "مختار الصحاح" من معنى المساواة، إذ جاء فيه: « ك ف أ: (الكفيء) بالمد: النظير، وكذا (الكفء) و(الكفؤ) بسكون الفاء وضمها بوزن فعل وفعل... والمصدر (الكفاءة) بالفتح والمد. وفي حديث العقيقة: «شاتان مكافئتان» بكسر الفاء، أي متساويتان. والمحدثون يقولون: (مكافأتان) بفتح الفاء. وكل شيء ساوى شيئا فهو مكافئ له. وقال بعضهم في تفسير الحديث: تذبح إحداهما مقابلة الأخرى... »[٢].

وحول المعنى نفسه ورد كلام ابن منظور عن التكافؤ؛ فقال: « التكافؤ: الاستواء ... يقال: كافأه يكافئه فهو مكافِئُه، أي مساويه »[٣].

ومن معاني التكافؤ الأخرى التي يضيفها اللسان للتكافؤ معنى المقابلة، فيقول: «ويقال: بنى فلان ظلة يكافئ بها عين الشمس، ليتقي حرها. قال أبو ذر، رضي الله عنه، في حديثه: ولنا عباءتان نكافئ بهما عنا عين الشمس[٤]، أي نقابل بهما الشمس

(١) علي الحسيني الجرجاني الحنفي، "التعريفات"، تحقيق: نصر الدين تونسي، (ط ١، شركة القدس للتصدير، القاهرة، ٢٠٠٧م)، ص (٣٤٤، ٣٤٥).

(٢) الرازي، "مختار الصحاح"، ص (٢٧٠).

(٣) ابن منظور، "لسان العرب"، ١: ١٣٩، ١٤٠.

(٤) أخرجه عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، "غريب الحديث"، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، (مطبعة العاني، بغداد، ط (١)، ١٣٩٧هـ)، ٢: ١٠.

وندافع ... »[١].

ويضيف الفيروز آبادي إلى هذه المعاني للتكافؤ معنى المماثلة والاستواء فيقول: «...وكافأه فلان: ماثله، وراقبه... وشاتان مكافأتان، وتكسر الفاء: كل واحدة منهما مساوية لصاحبتها في السن... والتكافؤ: الاستواء »[٢].

ب – التكافؤ اصطلاحًا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للتكافؤ عن معانيه اللغوية السابقة، إلا أنه يزيد عليها معنى المخالفة الذي قال به ابن جني، إذ يقول: « إذا كان الإكفاء في الشعر محمولا على الإكفاء في غيره وكان وضع الإكفاء إنما هو للخلاف »[٣].

ويدقق بعض البلاغيين المعاصرين المعنى الاصطلاحي للتكافؤ، فيما يخلص إليه بالقول: « قد يكون معنى المقابلة، الذي يتضمنه لفظ المكافأة، هو الذي استند عليه قدامة في إطلاقه على الكلمتين المتضادتين. كما تدل بذلك عبارته في تعريفه للتكافؤ؛ إذ إن علاقة الضدية إحدى علاقات التقابل بين الكلمات، فتكون تسميته من قبيل تسمية الجزء باسم الكل »[٤].

وتستشهد د. منى الساحلي لذلك بقول قدامة بن جعفر: (... وهو أن يصف الشاعر شيئا أو يذمه، أو يتكلم فيه بمعنى ما، فيأتي بمعنيين متكافئين، والذي أريد بقولي متكافئين في هذا الموضع: متقاومان، إما من جهة المضادة، أو السلب والإيجاب، أو غيرها من أقسام التقابل)[٥].

(١) ابن منظور، "لسان العرب"، ١: ١٤٠.
(٢) الفيروزآبادي "القاموس المحيط"، ص (٥١).
(٣) ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، ٧: ٩٣.
(٤) منى علي سليمان الساحلي، "التضاد في النقد الأدبي"، ص (٨٥).
(٥) قدامة بن جعفر، "نقد الشعر"، ص (١٤٣).

٣ـ التقابل والتضاد:

أ- التضاد لغة:

دارت المعاني اللغوية للتضاد - كما بينتها معاجم اللغة - حول معنى الخلاف، ففي جمهرة اللغة: « ضد الشيء خلافه »(١).

وفي لسان العرب: « الضد كل شيء ضاد شيئا ليغلبه، والسواد ضد البياض، والموت ضد الحياة، والليل ضد النهار، إذا جاء هذا ذهب ذلك »(٢).

وبعد ذلك يورد ابن منظور طائفة من تعريفات علماء اللغة للتضاد، فيقول: « قال ابن سيده: ضد الشيء وضديده وضديدته: خلافه؛ الأخيرة عن ثعلب؛ ... والجمع أضداد. وقد ضاده وهما متضادان، ... وفي التنزيل ﴿ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾(٣)؛ قال الفراء: يكونون عليهم عونا؛ قال أبو منصور: يعني الأصنام التي عبدها الكفار تكون أعوانا على عابديها يوم القيامة ... أبو الهيثم: يقال: ضادني فلان إذا خالفني، فأردت طولا وأراد قصرا، وأردت ظلمة وأراد نورا، فهو ضدك وضديدك، وقد يقال إذا خالفك فأردت وجها تذهب فيه ونازعك في ضده »(٤)، ويقول الفيروزآبادي: « الضد، بالكسر، والضديد: المثل، والمخالف، ... وضاده: خالفه. وهما متضادان »(٥).

ويحيد أبو الطيب اللغوي في كتابه الأضداد في اللغة، عن زاوية النظر هذه إلى معنى التضاد، والتي لا تبارح معنى الخلاف، إذ يرى أنه: « ليس كل ما خالف الشيء ضدًا له، ألا ترى أن القوة والجهل مختلفان، وليسا ضدين؛ وإنما ضد القوة الضعف،

---

(١) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، "جمهرة اللغة"، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م)، ١: ١١٢.

(٢) ابن منظور، "لسان العرب"، ٣: ٢٦٣.

(٣) سورة مريم آية: ٨٢.

(٤) ابن منظور، "لسان العرب"، ٣: ٢٦٣، ٢٦٤. وينظر: ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، ٨: ١٤٧.

(٥) الفيروزآبادي "القاموس المحيط"، ص (٢٩٥).

وضد الجهل العلم، فالاختلاف أعم من التضاد؛ إذ كل متضادين مختلفان، وليس كل مختلفين ضدين »[١].

ب- التضاد اصطلاحًا:

عند تناول البلاغيين لمصطلح التضاد اختلفت رؤاهم حوله بين مُقرٍّ له وبين منكر لوجوده، كما تكلموا أيضا" عما يسمى بالتضاد" الذي يعني استخدام لفظة واحدة بمعنيين مختلفين، وأخذوا يبحثون في التعليل لذلك[٢]، على أنه أيًّا ما كانت سياقات اختلاف العلماء حول المعنى الاصطلاحي للتضاد – وإن بلغ حد إنكار وجوده – فذلك لا ينفي عن التضاد كونه إحدى العلاقات الهامة وذات الأثر الدلالي الكبير من بين العلاقات التي يقوم عليها أسلوب التقابل في البلاغة.

٤ـ التقابل والتخالف:

أ- التخالف لغة: أورد العلماء كثيرًا من المعاني لمفهوم التخالف، ومن أبرزها ما جاء في مختار الصحاح: « خلف: ضد قدام، والخلف أيضا القرن بعد القرن، يقال: هؤلاء خلف سوء لناس لاحقين بناس أكثر منهم. والخلف أيضا الرديء؛ من القول: سكت ألفا ونطق خلفا. أي سكت عن ألف كلمة ثم تكلم بخطأ. والخلف أيضا الاستقاء. والخلف أيضا –ساكن اللام ومفتوحها– ما جاء من بعد، يقال: هو خلف سوء من أبيه، وخلف صدق من أبيه –بالتحريك– إذا قام مقامه...، والخلفة: اختلاف الليل والنهار. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةً لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾[٣]، وخلفة الشجر: ثمر يخرج بعد الثمر الكثير، ... وخلف فلان فلانًا: إذا كان خليفته، يقال: خلفه في قومه، من باب كتب، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱخۡلُفۡنِى فِى

(١) أبو الطيب اللغوي، "كتاب الأضداد في كلام العرب"، عني بتحقيقه: عزة حسن، (ط٢، دار طالاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٦م)، ص (٣٣).

(٢) ينظر: ابن دريد الأزدي، "جمهرة اللغة"، ص (٩٨).

(٣) سورة الفرقان آية: ٦٢.

قَوْمِى ﴾[1]، وخلفه أيضًا: جاء بعده. وخلف فم الصائم: تغيرت رائحته، وكذا اللبن والطعام إذا تغير طعمه أو ريحه، وبابه دخل »[2].

وقريب من هذه المعانى ما يذكره ابن فارس، إذ يقول: « الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها: أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني: خلاف قدام، والثالث: التغير »[3].

ب- التخالف اصطلاحًا: على نحو قريب مما كان من عدم وضوح أو استقرار المعنى الاصطلاحي للتضاد بين العلماء؛ كان هناك قدر ملحوظ من التداخل في الاستعمال بينه وبين مصطلح التخالف، فالكثير من العلماء لا يفرقون بين المصطلحين، والقليل فقط من يرى وجها للتفرقة بينهما، كما رأينا عند أبي الطيب اللغوي، وقريب من ذلك ما نراه عند الجاحظ؛ إذ يقول: « ولا يكون الطعم ضدّ اللون، ولا اللون ضدّ الطعم، بل يكون خلافا. ولا يكون ضدّا ولا وفاقًا، لأنه من غير جنسه، ولا يكون ضدّا؛ لأنه لا يفاسده... »[4].

ويسوغ في هذا الموضع الإشارة إلى أن الجاحظ ينطلق من ألوان الأشياء التي تختلف في مرجعياتها الحسيّة، ومعروف أن هذا الكلام يعد الأساس الذي تبناه الرمزيون في تراسل الحواس من منظور علم النفس الذي يرى أن مدركات الحواس تختلف في الظاهر لكنها ترجع إلى شيء واحد في منبعها النفسي[5].

---

(١) سورة الأعراف آية: ١٤٢.

(٢) الرازي، "مختار الصحاح"، ص (٩٥).

(٣) ابن فارس "مقاييس اللغة"، ٢: ٢١٠.

(٤) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي أبو عثمان الجاحظ، "الحيوان"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٢)، ١٤٢٤هـ، ٥: ٣١.

(٥) ينظر: ربحي كمال، "التضاد في ضوء اللغات السامية"، – دراسة مقارنة–، (ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م)، ص (٩)، وأحمد مختار عمر، "علم الدلالة"، (ط٥، عالم الكتب الحديث، الأردن، ١٩٩٨م)، ص (١٩٤).

٥ـ التقابل والتناقض:

أ – **التناقض لغة:** في بيان المعنى اللغوي للتناقض، يقول ابن فارس: « النون والقاف والضاد أصل صحيح يدل على نكث شيء،...ونقضت الحبل والبناء. والنقيض: المنقوض »(١).

ويضيف ابن سيده: «...وناقضه في الشيء مناقضة، ونقاضا: خالفه... ونقيضك: الذي يخالفك »(٢).

ويفصل الرازي بيان معنى التناقض بقوله عن الجذر اللغوي "ن ق ض" والفعل المجرد "نقض": « نقض البناء والحبل والعهد من باب نصر، والنقاضة –بالضم–: ما نقض من حبل الشعر، والمناقضة في القول أن يتكلم بما (يتناقض) معناه، والانتقاض: الانتكاث... وأنقض الحمل ظهره: أثقله، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ ﴾(٣)» (٤).

فيفهم من جملة ذلك: أن النقض يعني جعل الشيء على خلاف ما كان عليه، أي أنه ينقل من حالة إلى حالة أخرى تقابلها، فحالة الحبل المبرم تقابلها حالته وقد نكث، ويكون التناقض أيضا في القول بمخالفة معناه، وعلى ذلك « فالمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه، أي: يتخالف، وفي الجسم: بأن يصير من حال إلى حال، و﴿ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ ۝٣ ﴾ أي: أثقله حتى جعله نقضًا، أي: مهزولًا »(٥).

(١) ابن فارس "مقاييس اللغة"، ٥: ٤٧٠، ٤٧١.
(٢) ابن سيده، "المحكم والمحيط الأعظم"، ٦: ١٧٨.
(٣) سورة الشرح آية: ٣.
(٤) الرازي، "مختار الصحاح"، ص (٣١٨).
(٥) الفيروزآبادي "القاموس المحيط"، ص (٦٥٦).

ب – التناقض اصطلاحًا: لقد (تناقضت) نظرة العلماء والنقاد وحتى الأدباء إلى المعنى الاصطلاحي للتناقض، إذ نجده عند بعضهم دليلًا على قدرة الشاعر، أو الكاتب، وبراعته اللغوية حين يمتدح الشيء – مثلًا– ويذمه في الوقت نفسه، شرط الإجادة في الأمرين، وفي انحياز إلى هذه الرؤية يقول قدامة بن جعفر: « ومما يجب تقديمه أيضًا أن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئًا وصفًا حسنًا، ثم يذمه بعد ذلك ذمًا حسنًا أيضًا، غير منكر عليه ولا معيب من فعله، إذا أحسن المدح والذم، بل ذلك عندي دليل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها »[١]. بينما يعده البعض الآخر عيبًا – لا أسلوبيًّا فقط، بل شخصيًا أيضًا– يجب على الأديب والمتكلم عمومًا الاحتراز منها، حتى إن هناك من اعتبر إنتاج الشاعر كلًا واحدًا، دون مراعاة اختلاف الزمن، الذي هو شرط من شروط التناقض[٢].

وخلاصه ذلك: أن جل ما ورد في معاجم اللغة حول معنى التقابل لا يخرج به في إطاره العام عن "المواجهة"، وقد يتعدى ذلك إلى معنى "الطاقة". وأما ما جاء من آراء رؤى البلاغيين حول مفاهيم المصطلحات القربية أو المتداخلة أو المتماسة مع مصطلح التقابل، مثل الطباق والتكافؤ والتضاد والتخالف والتناقض، فإنها تسلك مفاهيم هذه المصطلحات في سياق اشتراكها في الدلالة على التقابل، وعلى أنها في جملتها تشكل طائفة من العلاقات الهامة التي يقوم عليها أسلوب التقابل في البلاغة العربية سواء التقليدية أو الحديثة والمعاصرة[٣].

---

(١) قدامة بن جعفر، "نقد الشعر"، ص (٤).

(٢) منى علي سليمان الساحلي، "التضاد في النقد الأدبي"، ص (٥٦).

(٣) ينظر: ربحي كمال، "التضاد في ضوء اللغات السامية"، ص (٩)، وأحمد مختار عمر، "علم الدلالة"، ص (١٩٤).

المبحث الثاني
التقابل بين القديم والحديث

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
التقابل عند القدماء

لا شك أن التقابل قد أخذ عند الدارسين القدماء الحظ الوافر من الدراسة والتحليل، وهذا ما زاد من عمق نظرتهم إليه من جهة، واختلاف هذه النظرة من جهة أخرى؛ حيث إن منهم من كانت دراسته شكلية تعتمد أسلوب الإحصاء، وذلك بإيراد المثال، وعدّ ما تضمنه من عناصر التقابل، كأن يكون اثنين في مقابل اثنين، أو ثلاثة في مقابل ثلاثة، وهكذا...، ومنهم من كانت دراسته متكاملة؛ تحدد مفهوم التقابل دون أن تنسى الإشارة إلى ما كان يعتور هذا المفهوم من خلط بينه وبين مفهوم الطباق بخاصة.

وابن المعتز حين يتكلم في الباب الثالث عن المطابقة؛ نستشف من الشواهد التي يوردها في ذلك، أنه لا يفرق بينها وبين المقابلة(١).

ـ التقابل عند قدامة بن جعفر:

كان لقدامة بن جعفر قصب سبق في الدرسين اللغوي والنقدي للأدب العربي، كما كان لكتابيه "نقد الشعر" و"نقد النثر" فضل ظاهر في التأسيس للنقد العربي على دعائم منهجية دقيقة ومنضبطة إلى أقصى حد يمكن أن توصف معه بوصف العلم، وتنأى معه عن أن تعد – ككثير من اجتهادات سابقيه – محض رؤى وآراء شخصية لأصحابها. وهو بالجهد الملموس الذي استفرغه في هذين الكتابين قد أسهم بشوط بعيد في تطوير البلاغة العربية، ويكفيه شاهدًا على ذلك أنه من أوائل من تكلموا بتفصيل

(١) ينظر: عبد الله ابن المعتز، "البديع"، ص (١٠).

رصين عن ظاهرة "المقابلة"[١] التي يدور في أرجائها هذا البحث، فأوردها في باب "نعوت المعاني"، حيث خلص في درسه لها إلى الربط بين صحة المعاني وفسادها وبين صحة المقابلة وفسادها.

وفي هذا الباب "نعوت المعاني" نرى قدامة مسهبًا في التمثيل للمعيار الذي اتخذه أساسًا للحكم بصحة المعاني وفسادها؛ وهو صحة المقابلة وفسادها.

ـ التقابل عند أبي هلال العسكري:

لئن مر الدرس النقدي والبلاغي العربي مرورًا عابرًا على غير قليل من الأسماء، فلا يسعه إلا أن يتوقف بكثير من الإكبار لأحد أعلام النقد والبلاغة في تاريخ الأدب العربي؛ هو "أبو هلال العسكري" الذي كانت له إضافات عميقة ورؤى تأسيسية في البلاغة والنقد على السواء.

وفي كتابه القيم "الصناعتين" نطالع له تأصيلًا رصينًا لظاهرة "المقابلة" إذ يستهل كلامه عنها بتعريفه لها قائلًا: "المقابلة: إيراد الكلام، ثم مقابلته بمثله فى المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة.

ـ التقابل عند ابن رشيق القيرواني:

من أبرز النقاد والبلاغيين في الأدب العربي "ابن رشيق القيرواني" الذي شغل كتابه "العمدة في صناعة الشعر ونقده" ساحة الأدب طويلًا وعميقًا، واستثار مناقشات مستفيضة. ولقد أفرد ابن رشيق في هذا الكتاب بابًا تكلم فيه عن المقابلة موضحًا لمفهومها ومحللًا لمظاهرها، ومبينًا لحدّها – في رؤيته النقدية– حيث وضعها بين مصطلحي "التقسيم" و"الطباق". فنراه في تعريفه لها يقول: "...وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطي أول الكلام ما يليق به أولًا، وآخره ما يليق به آخرًا، ويأتي في

(١) عبد العزيز عتيق، "علم البديع"، ص (٦٥).

الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه"[١].

وفي موضع آخر من حديثه عن المقابلة نرى ابن رشيق في "العمدة" يقارن بين المقابلة وبين الطباق، رافعًا اللبس بينهما بتأصيل علمي يخلص من خلاله إلى أن مكمن الفرق بينهما هو في العدد؛ بحيث إن ما كان دون الضدين كان طباقًا، وما تجاوزهما كان مقابلة، فيقول في ذلك: "وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدين كان مقابلة.

فالمقابلات التي كان لابن رشيق عليها مآخذ وملاحظات أثّرت في كونها هي المقابلة التي يقصد إليها من طرح مفهومها، والتي تتوافر لها مقومات الصحة والجودة، كانت بمثابة التمهيد الموفق إلى حد بعيد ليسلك منها إلى بيان المقابلة التي ترتضيها ذائقته ورؤيته النقدية، والتي تتوافر على مقومات صحتها ومسوغات الحكم عليها بالجودة، وكما مثل للأولى فقد عُني بالتمثيل للثانية بطائفة من الشواهد مع التعليق عليها وتفصيل بيان مكامن صحتها وجودتها.

ـ التقابل عند السكاكي:

من أعلام البلاغيين في الدرس الأدبي –في القرن السابع – يقف النقد العربي عند أحد أفذاذ البلاغة العربية، وهو "سراج الدين السكاكي" الذي وضع كتابه الثري "مفتاح العلوم" فكان محصلة جامعة في تلخيص فريد لما سبقه من عيون كتب البلاغيين الذين سبقوه ورؤاهم وآرائهم، فضلًا عما أضافه إليها في هذا الكتاب من آراء وأفكار قيمة، سلكها في تفصيل محكم أعانته عليه ملكة منطقية ومقدرة كبيرة على التحليل والتحديد والتقسيم والتفريع[٢].

وفي مجرى هذا التفصيل نرى السكاكي حين يتكلم عن المقابلة يسلكها ضمن

(١) أبو على الحسن بن رشيق القيرواني، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م)، ٢: ١٥.

(٢) عبد العزيز عتيق، "علم البديع"، ص (٣٢).

المحسنات المعنوية، فيبتدئ الحديث عنها بتعريفها قائلًا: "وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما. ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده.

وأول ما يتبادر إلى الفهم من هذا الكلام للسكاكي أنه يجعل التضاد شرطًا للمقابلة، ولذلك فهي – عنده– تختلف عن الطباق، ومكمن الاختلاف هو في عدد المتقابلين، حيث استوجب السكاكي أن تجمع المقابلة بين شيئين فأكثر وبين ضديهما، أما ما كان دون ذلك عددًا فهو الطباق. وبعبارة أخرى: أن الطباق يختص بالمفردات، أما المقابلة فتختص بالتركيب.

ـ التقابل عند ابن الأثير:

من البلاغيين كبار القدر في الأدب العربي "ضياء الدين ابن الأثير" الذي حاز كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر" قبولًا واسعًا في الدرس النقدي والبلاغي.

وفي معرض حديث ابن الأثير عن التناسب بين المعاني نراه يقسمه ثلاثة أقسام؛ هي: الطباق، وصحة التقسيم، وترتيب التفسير، فيتوسع في مفهوم الطباق حتى ليسلك فيه المقابلة والمشاكلة والمؤاخاة بين المعاني. وفي حديثه عن ترتيب التفسير نفهم من كلامه أنه يريد به ما يشمل "اللف" و"النشر"[(١)]، ولكل منهما مفهوم اصطلاحي – عنده– بيّنه في موضعه.

أما في تفصيل رؤيته لمفهوم المقابلة؛ فابن الأثير يراها على وجهين: تكون في أولهما بالتضاد، وتكون في ثانيهما بغير التضاد. وفي بيان ذلك يقول: "الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع المقابلة؛ لأنه لا يخلو الحال فيه من وجهين: إما أن يقابل الشيء بضده، أو يقابل بما ليس بضده، وليس لنا وجه ثالث"[(٢)].

(١) شوقي ضيف، "البلاغة تطور وتاريخ"، (دار المعارف، القاهرة)، ص (٣٣٢).

(٢) ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، (دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة)، ٢: ٢٦٥.

ـ التقابل عند القزويني:

كان القاضي جلال الدين الخطيب القزويني من أشهر البلاغيين في عصره وفيما بعد عصره أيضًا، وقد حاز هذه الشهرة عبر تلخيصه الدقيق للقسم الثالث من كتاب "مفتاح العلوم" للسكاكي، في حسن عبارة ووضوح دلالة ودقة إشارة، وتيسير ما غمض من "المفتاح" أو كان على نحو من التعقيد، بالإضافة إلى ما طرحه من مناقشات معمقة للسكاكي في أكثر من موضع من تلخيصه، وإطراحه لبعض تعريفاته الملتبسه واقتراحه بدلًا منها تعريفات على قدر كبير من الدقة والوضوح[١] ويسر المأتى.

وفي صدد حديث القزويني عن المقابلة نراه يسلكها في عموم معنى المطابقة، فيعرفها بقوله: إنها "أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما، أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل"[٢]، وهو لا يشترط في هذا التقابل التناسب بين المتقابلين[٣].

ثم يعمد القزويني بعد ذلك إلى ذكر أنواع المقابلة مع التمثيل لكل نوع منها، وكان المعيار الأبرز الذي ابتنى عليه تقسيمه للمقابلة هو عدد المتقابلين – مثله في ذلك مثل السكاكي– حيث كانت المقابلة عند القزويني: مقابلة اثنين باثنين، وثلاثة بثلاثة، وأربعة بأربعة، وخمسة بخمسة. ليخلص من بيان هذا التقسيم إلى الاستشهاد لكل نوع مقابلة بأمثلة الصحيح الجيد منها، ثم يختتم الحديث عنها بإعادة ذكر ما قال به السكاكي في شأنها.

ـ التقابل عند الزركشي:

كان لبدر الدين محمد الزركشي رؤية خاصة وعلى قسط كبير من دقة التأصيل لكل

(١) شوقي ضيف، "البلاغة تطور وتاريخ"، ص (٣٣٥، ٣٣٦).

(٢) محمد بن عبد الرحمن القزويني، "الإيضاح في علوم البلاغة"، ص (١٩٣).

(٣) ينظر: عبد المتعال الصعيدي، "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح"، (ط١٧، مكتبة الآداب، ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م، ٤: ١٢.

من الطباق والمقابلة، فخص كلًا منهما بمبحث خاص في كتابه "البرهان في علوم القرآن". وفي صدد تعريفه للمقابلة يقول عنها: "وهي ذكر الشيء مع ما يوازيه في بعض صفاته ويخالفه في بعضها وهي من باب المفاعلة، كالمقابلة والمضاربة، وهي قريبة من الطباق"(١).

وأهم ما يستفاد فهمًا من هذا التعريف أن الزركشي لم يجعل المقابلة قائمة فقط على الجمع بين الكلمات التي تختلف فيما بينها، بل صح عنده أيضًا أن تقوم على الجمع بين الكلمات التي تتماثل من بعض الأوجه أو الصفات وتختلف في بعضها الآخر.

وخلاصة ذلك: أن التقابل درس في البلاغة العربية القديمة ضمن القسم الثالث من أقسام البلاغة وهو البديع، ونجد ذلك عند (ابن المعتز)، و(أبي هلال العسكري)، و(الجرجاني) وغيرهم، لكنه لم يدرس بهذا اللفظ تحديدًا، فلم نجد في كتب علماء اللغة القدماء تعريفًا جامعًا للتقابل، ولم يصل إلينا مؤلف جاء تحت عنوان التقابل، على الرغم مما ألف في الأضداد في مراحل متقدمة من التأليف في مجال اللغة، بل عرف البلاغيون ما يعرف بالمقابلة، والطباق، والأضداد، فقصر العلماء نظرهم في هذا السياق على أن عقدوا في الكتب التي جعلوها في الأضداد أبوابًا للألفاظ المتقابلة(٢)، والأمر الذي يمكن إرجاع هذه الظاهرة إليه عند العلماء القدامى – والذين تأثر خطاهم من جاء بعدهم فيها – هو أن الألفاظ المتقابلة والأضداد كانت معروفة للعربي، على نحو لم يكن يقع له فيها لبس أو خلط، ولا يحتاج في تبيُّن مفاهيمها إلى تنظير أو تصنيف وتقسيم.

---

(١) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: يوسف المرعشلي وآخرين، (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ٣: ٤٥٨.

(٢) ينظر: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، "الأضداد"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م)، ص (٦).

ولذا كانت دراساتهم – في الغالب الأعم منها – تولي الألفاظ والجمل أهمية كبيرة، فتقف عند حدودها، بالإضافة إلى ما كان يطغي على هذه الدراسات من الجانب الوصفي والتركيز على تتبع الأساليب البديعية توصلًا إلى إبرازها وتبيان مظاهرها في النص، وهو ما أدى بهم في مجمله إلى عدم توسع دراساتهم إلى استظهار التقابلات، أو تعمَّق الحديث عن أثر التقابل في إنتاج الدلالة.

ولعل جماع هذه الظواهر عند العلماء مرده إلى ما استقر في البلاغة العربية من قصر وظيفة البديع على التحسين وعدّه من المحسنات، –من جانب– وأن التحسين قد يكون في اللفظ وقد يكون في المعنى من جانب آخر.

وكان حاصل أطراف هذه الرؤية عند العلماء هو تقسيمهم للتقابل في دراساتهم البلاغية إلى أقسام متعددة، واستقرارهم على عد الطباق والمقابلة من المحسنات المعنوية التي تدخل بدورها في مجال البديع(١)، على نحو يتبلور فيه مفهوم الطباق والمقابلة في محض الجمع بين معنيين متضادين في الجملة، كالأبيض والأسود، والليل والنهار(٢).

(١) ينظر: محمد الهادي الطرابلسي، "خصائص الأسلوب في الشوقيات"، (منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م)، ص (٩٥).

(٢) ينظر: أبو الحسن حازم القرطاجني، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، (ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م)، ص (٤٩).

المطلب الثاني
التقابل عند المحدثين

لعل ما تناوله البحث في المطلب السابق حول "التقابل عند القدماء" يمثل توطئة ذات قيمة ملحوظة عند الحديث في المطلب الماثل عن التقابل عند المحدثين.

وأول ما يستلفت النظر والانتباه في شأن التقابل أنه انتقل في الدراسات الحديثة من البعد التحسيني، الذي ساد في الدراسات القديمة، والتي حصرته في نطاق ضيق لا يتعدى تأثيره نطاق المفردات، والجمل المحدودة، إلى عنصر مهم، يلعب أدوارًا في ترابط النص، وفي إثراء الأبعاد الجمالية والبلاغية للنصوص؛ بحيث يمكن للنظر أن يستخلص من هذا الانتقال القول إن التقابل قد انتقل من "نحو الجملة" إلى "نحو النص" كنتيجة، لما عبر عنه البعض بالقول: "إن الشيء الذي لا يمكن أن نتغاضى عنه، هو وقوع إلى وقوف عند حدود الجملة، أو ما هو في حكمها... كما لا نستطيع أن نتغاضى عن الإغراق في الجزئية والانفصالية في البحث البلاغي جملة"(١).

لذلك شهدت الدراسات الحديثة نقلة نوعية في مجال الدرس اللغوي واللساني والأدبي، فقد ظهرت مدارس نقدية انتقلت من الدراسة الجزئية للنصوص، ومن النظرة الضيقة التي تتوقف عند الألفاظ والجمل إلى النظرة الكلية، التي ترى أن تحقق المعنى لا يكون إلا بربط أجزاء النص مع بعضها البعض، فالدلالة في نظر أصحاب هذه الدراسات هي حصيلة ينتجها النص من خلال عملية السبك والحبك بين جميع العناصر التي تشكل النصوص والخطابات، ولا يمكن حصرها أو الوصول إلى الكشف عنها بدراسة أجزاء النص متفرقة، بل تتحقق دلالة النص الكلية بالربط بين مختلف مقاطع النص، والنظر إلى محصلة هذا الجمع بين المعاني والألفاظ والجمل. وهذه

(١) ينظر: محمد عبد المطلب، "البلاغة العربية، (قراءة أخرى)"، (ط٢، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧م)، ص (١٩).

السمات وتلك الظواهر التي وقعت البلاغة العربية التقليدية في أسرها، وهذه النقلة النوعية التي شهدتها وأحدثتها الدراسات اللسانية في الدرس الأدبي الحديث؛ هي ما دعت الأستاذ "أمين الخولي" في أواخر ثلاثينيات القرن الماضي إلى الجهر بضرورة مجاوزة البحث البلاغي العربي ذلك الأفق الذي توقف عنده طويلًا، وهو أفق الجملة، إلى أفق "ما وراء الجملة"، ويعنى بذلك: الفقرة والنص. ومع ظهور الاتجاه اللساني المعاصر في محيط الدرس الأدبي العربي منذ منتصف ستينيات القرن الماضي، وتبلوُر مناهجه وإجراءاته البحثية، وجدت دعوة الأستاذ الخولي واقعًا نقديًا تتجاوب فيه أصداؤها، عبر الاتجاه الذي عرف بـ"اللسانيات النصية" و"نحو النص"، الذي يتخذ النص كله وحدة للتحليل.

وحتى تستتم للبحث آفاق الرؤية العلمية لمفهوم التقابل؛ فلعل مما يوافق المنطق العلمي أن نعرض هاهنا لخلاصات رؤى المحدثين والمعاصرين لظاهرة التقابل، وهي الرؤى التي يمكن التعبير عنها – استخلاصًا من دراساتهم التي يعسر حصرها في وجازة هذا الموضع، أو عرض ثبت واف بها، من فرط كثرتها – بأنها تبلورت في اتجاهين رئيسين، يمكن تناولهما على النحو التالي:

الاتجاه الأول: وهو الاتجاه الذي لم يأت أصحابه بجديد في رؤية ظاهرة التقابل، حيث يُلمس عندهم تكرار عبارات القدماء والاعتماد على ما ساقوه من أمثلة وشواهد في حديثهم عن التقابل، ومن جهة أخرى فإن: "فكرة التحسين والمحسن البديعي هي المسيطرة على بحث أصحاب هذه الوجهة للطباق، أو التضاد، فقد اكتفى كثير من الدارسين بترداد نصوص القدماء، وإعادة ملاحظاتهم، دون تعليق أو تجديد يذكر"[(١)].

الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الذي تمثلت أبرز ملامح تناوله لظاهرة التقابل في المحاولات الحثيثة لإخراج التقابل من أسر مفهوم "التحسين" الذي يعبر –أول ما يعبر

(١) عبد العزيز عتيق، "علم البديع"، ص (٥٨).

– عن شيء زائد على "النص" وليس جزءًا أصيلًا من بنيته.

وتستعرض "منى الساحلي" مجموعة من الدارسين المحدثين والمعاصرين الذين شغلتهم ظاهرة التقابل، فكانت لهم آراء ورؤى في هذا السياق الذي أشرنا إليه، ومنهم: "رجاء عيد" الذي شدد على رفض تسمية الإطار العام الذي تندرج فيه المقابلة بالتحسين أو المحسنات البديعية، وتستشهد لرؤيته هذه بقوله: "إن تقسيم البلاغيين لما عرف بالمحسنات إلى لفظية ومعنوية، تقسيم مردود، والاصطلاح نفسه (محسنات) لا نطمئن إليه..."(١).

وعلى جانب يفوق ذلك أهمية عند "رجاء عيد" فإن الطباق أو المقابلة عنده ليست سوى جزء أصيل من البنية الكلية للنص، ولذا فلا يصح ولا يسوغ اقتطاعه واجتزاؤه ثم النظر إليه معزولًا عن سياق النص وبنيته(٢).

ومنهم: "أحمد مطلوب"، الذي تترك له "الساحلي" عنان التعبير عن رؤيته للطباق؛ إذ يقول: "والمطابقة من مقومات التعبير، لأنها تعتمد على الأضداد، والمتناقضات، ولذلك فهي ليست محسنا، وإنما هي وسيلة من وسائل التعبير"(٣).

ومنهم: "قصي سالم علوان" الذي يرفض رفضًا جازمًا فكرة تقسيم الطباق إلى لفظي ومعنوي، ويؤكد على أنه وسيلة هامة من أنجح وسائل التعبير داخل بنية النص، وليس تحسينًا من خارجه.

ومنهم: "علي شلفوح" الذي يؤكد على إقصاء فكرة التحسين أو المحسنات البديعية بحسبانها إطارًا عامًا ينخرط فيه الطباق أو التقابل، ويدعو إلى تجريد الزينة والزخرف اللذين تمثلهما فكرة المحسنات البديعية من هالة جمالية ترسخت لها في الذائقة

(١) رجاء عيد، "فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور"، (منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت)، ص (٢١٦).
(٢) السابق.
(٣) أحمد مطلوب، "البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع"، (ط٢، معهد الإنماء العربي، بغداد، ١٩٨٠م)، ص (٢٨٨).

البلاغية، وهي ليست لها حقيقة، لأن ذهنية التفاعل البنيوي مع النص لا حيز فيها للشكلانية أو البهرج المتقحم على النص من خارجه.

ومنهم: "عبد الله الطيب" إذ يجعل الطباق عنصرًا هامًا من عناصر الانسجام في النص، و"مصطفى السعدني" يجعله نوعًا من أنواع المفارقة، فهو والمقابلة عنصران بنائيان.

وتخلص "منى الساحلي" من احتشاد هذه المضامين حول هذه الرؤية إلى إرجاع أسباب تحول نظرة الدارسين المحدثين والمعاصرين للطباق والمقابلة بإخراجهما من دائرة التحسين أو المحسنات البديعية إلى الصخب الفكري الذي أحدثه في الأدب تيار البنيوية وكان من أهم مظاهره خلخلة المفاهيم الجمالية وتجريد أكثرها من هالات تشبه المسلمات، كمفهوم المحسنات، وكان من أهم ما أحدثه تيار البنيوية على صعيد الدرس الأدبي أن: "جعل بعض الباحثين يعيدون النظر في التضاد، فيميلون إلى الاعتماد عليه في التحليل، منطلقين في ذلك من عده جزءًا من بنية النص"[(١)]، وبالتالي "فهم يعولون – في استنطاق لغة النص– على استخراج عناصرها المتضادة والمتشابهة، ثم تصنيفها وتحليلها في ضوء علاقات التضاد والاتفاق"[(٢)].

وإجمالًا للحديث في هذا الشأن فليس في الوسع إنكار ما أحدثته الدراسات الغربية التي تناولت التقابل اللغوي من أثر بالغ في الدراسات اللغوية العربية، دون أن يُحمل هذا الإنكار على وجه ما من التعصب الذي ينأى بالبحث العلمي عن الموضوعية التي هي من أخص خصائصه وألزم لوازمه. فمن المؤكد أن الدراسات الغربية قد فتحت آفاقًا واسعة من التأمل واستكشاف الأبعاد الدلالية والجمالية والبلاغية التي يستثيرها التقابل في النصوص والخطابات أيًا ما كانت أشكالها وأنواعها، وكان من أظهر آثار تلك الدراسات أن تحرر الباحثون والنقاد على السواء من ميراث لغوي

(١) منى علي سليمان الساحلي، "التضاد في النقد الأدبي"، ص (٢٤٨).
(٢) السابق.

وبلاغي قديم طغت فيه الشكلانية على الدرس البلاغي للتقابل أو لما يجاوره ويتداخل معه من مفاهيم التضاد أو التكافؤ أو التماثل... إلخ، والتي كانت كلها فنونًا من فنون البديع التي لا يعدو دورها في النص أن يكون تحسينيًّا تجميليًّا لا صلة بينه وبين بنية النص نفسه.

وكأثر من آثار المناهج والنظريات اللسانية الحديثة في الأدب؛ غدا للتقابل حيز كبير من الأهمية في حقل الدراسات الدلالية العربية، وتشعبت إمكانات إضافته في إنتاج الدلالة، بتعدد مداخله ومناهج تناوله.

ومن الدراسات اللافتة التي عنيت بدراسة التقابل في إطار علم الدلالة دراسة للباحث "أحمد مختار عمر" التي أحسن فيها التفاعل مع المعطيات الغربية للدراسات التي تناولت التقابل، ووقف باحثون آخرون على مسافات متفاوتة من هذا التفاعل والتمثل لتلك المعطيات، مثل "أحمد نعيم الكراعين"، و"فايز الداية"، و"محمد سعد محمد" وغيرهم. فتفاوتت مساحات درسهم لظاهرة التقابل من منظور تلك المعطيات.

ومن أفضل الدراسات في هذا السياق كانت دراسة الباحث "عبد الكريم العبيدي" التي عنونها (ظاهرة التقابل في اللغة العربية)، حيث تجاوز فيها ضيق النظرة التقليدية للتقابل في البلاغة العربية التي تحصره في حدود المفردات، إلى أفق أوسع لمفهوم التقابل يعبّر عن أي علاقة تقابلية بين الصور والجمل والنصوص، فعمد إلى دراسة الجوانب الفنية للتقابل وما تنتجه آلياته من إيحاء وتكثيف وإيجاز وتأثير في إنتاج الدلالة، واهتم أيضًا بالجانب الوظيفي للتقابل، واعتمد فيما خلص من رؤى وآراء على شواهد وأمثلة تطبيقية من القرآن الكريم.

ولقد كانت الجدة والجدية اللافتة في هاتين الدراستين باعثًا للدكتور"سعيد جبر" ليشير إليهما في دراسته القيمة (التقابلات الدلالية في العربية والإنجليزية – تحليل لغوي تقابلي)، التي تناول فيها ظاهرة التقابل في سياق علم الدلالة الحديث دراسة

نظرية وتطبيقية تطمح إلى الكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين العربية والإنجليزية من حيث النظام والأداء اللغويين، وأيضًا إلى التنبؤ بما يمكن أن ينشأ من مشكلات تعترض عمل المشتغلين باللغتين في مجالات الترجمة والتعليم والمناهج.

والأمر الذي لا خفاء فيه في دراسة الدكتور "جبر" هو إفادتها إلى درجة كبيرة من الدراسات الغربية التي تناولت ظاهرة التقابل، على نحو يسهل معه أن تُرى الآفاق الواسعة التي فتحتها لتلك الدراسة، وما حفزتها إليه من المفاهيم النظرية الرحبة واستنزالها على النصوص التطبيقية على مستويات عديدة معجمية وتركيبية ونصية، وعلى مستوى علاقات التناص، ودقة استعمال المصطلح الأدبي في رؤية تحليلية قائمة على منهج دقيق منضبط.

المبحث الثالث
آيات التقابل في سورة الحج

وفيه مطلبان:

المطلب الأول
التعريف بسورة الحج

لئن كان الحديث في التعريف بسورة الحج المباركة يستدعي موضوعات كثيرة من جوانب ما يمكن أن تعرف به، إلا أن وجازة حيز هذا الموضع من البحث تستأدينا الاقتصار على أهم هذه الجوانب، فنعرض لها على النحو التالي:

أولاً: الاختلاف في مكيتها أو مدنيتها:

ذهب جماعة إلى أن سورة الحج مكية؛ منهم: ابن حزم(١)، والبغوي(٢)، وابن كثير(٣)، والعيني(٤)، والسيوطي(٥).

وقد استثنى بعضهم بعض الآيات فذكروا أنها مدنية، منهم: عبد الله بن عباس؛ قال: سورة الحج نزلت بمكة سوى ثلاث آيات منها، فإنهن نزلن بالمدينة في ستة نفر

(١) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، "الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص (٤٦).

(٢) أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي، "معالم التنزيل"، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، (ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، ٥: ٤٠٧.

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير، "تفسير القرآن العظيم". تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ، (ط٢، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م)، ٥: ٣٨٩.

(٤) أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى العيني، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، (ط١، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م)، ١٩: ٩٤.

(٥) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، "لباب النقول في أسباب النزول"، (دار إحياء العلوم، بيروت)، ص(١٦٠).

من قريش، ثلاثة منهم مؤمنون وثلاثة كافرون، فأما المؤمنون: فهم حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم، دعاهم للبراز عتبة وشيبه ابنا ربيعة والوليد بن عتبة، فأنزل الله جل وعز ثلاث آيات مدنيات، وهن قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ ﴾ الآية [١]، إلى تمام الآيات الثلاث من ذلك[٢]، ووافقه عطاء بن يسار[٣] والثعلبي[٤] ومكي بن أبي طالب[٥] وابن عطية[٦]، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أيضًا: أنها كلها مكية إلا السجدتين، و﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ ... الآية ﴾[٧]، والتي بعدها[٨].

ونص على مدنيتها: ابن الزبير[٩]، والضحاك[١]، وعبد الرزاق[٢]، والنحاس[٣]،

---

(١) سورة الحج آية: ١٩.

(٢) أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، "معاني القرآن"، تحقيق: محمد علي الصابوني، (ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ)، ٤: ٣٧١، وأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، "الناسخ والمنسوخ"، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، (ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ)، ٢: ٥٠٩.

(٣) عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ)، ٥: ٤٠١-٤٠٢.

(٤) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان)، ٥: ٧.

(٥) أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة أصوله واختلاف الناس فيه"، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، (ط١، دار المنارة، جدة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، ص (٣٥٣).

(٦) عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م)، ٤: ١٠٥.

(٧) سورة الحج آية: ٣٩.

(٨) علم الدين السخاوي، "جمال القراء وكما الإقراء"، تحقيق: مروان العطية، وغيره، (ط١، دار المأمون، دمشق، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، ١: ١٤.

(٩) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، "الدر المنثور فى التفسير بالمأثور"، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م)، ١٠: ٤٠٩.

والواحدي[٤]، واستثنى بعضهم بعض الآيات فذكروا أنها مكية، فقال ابن عباس وقتادة: سورة الحج مدنية إلا أربع آيات من قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ... ﴾[٥] إلى قوله تعالى: ﴿ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ٥٥ ﴾[٦]، فهن مكيات[٧]، ووافقهما ابن جزي[٨].

ومن الأقوال السابقة يتبين أن هناك اختلافًا في تحديد مكان نزول سورة الحج؛ فبعضهم ذكر أنها مكية، واستثنى بعضهم بعض آيات منها، فذكر أنها مدنية، وبعضهم ذكر أن السورة مدنية، واستثنى بعضهم بعض آيات، فذكروا أنها مكية، وهو ما حدا بالعلماء إلى عدها من السور المختلطة كما قال الجمهور.

وقد ذكر ذلك ابن عطية[٩]، وابن الفرس[١٠]، والقرطبي[١]، والثعالبي[٢]. ويعنون

---

(١) ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٤: ١٠٥.

(٢) أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، "تفسير عبد الرزاق"، تحقيق: د. محمود محمد عبده، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ)، ٢: ٣١.

(٣) أبو جعفر النحاس، "معاني القرآن"، ٤: ٣٦٩.

(٤) علي بن أحمد الواحدي، "التفسير البسيط"، (د.ط، دبلن: مكتبة شستربيتي، د.ت)، ٣: ٢٥٧.

(٥) سورة الحج آية: ٥٢.

(٦) سورة الحج آية: ٥٥.

(٧) ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٤: ١٠٥، ابن الجوزي، "زاد المسير"، ٥: ٤٠١-٤٠٢، محمد بن علي الشوكاني، "فتح القدير"، (ط١، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ)، ٣: ٥٩٢.

(٨) محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، "التسهيل لعلوم التنزيل"، (ط٤، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م)، ٢: ٣٢.

(٩) ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٤: ١٠٥.

(١٠) عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس، "أحكام القرآن"، تحقيق: طه بن علي بوسريح، (ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٧هـ)، ٣: ٢٩١.

بالمختلطة أن بعض آياتها مكي وبعضها مدني[٣].

ثانيًا: ترتيب نزولها :

قال ابن جزي عن سورة الحج: نزلت بعد النور[٤]، ولعل معتمد ابن جزي في ذلك ما روي عن جابر بن زيد، قال: نزلت بعد سورة النور، وقبل سورة المنافقين[٥]، وما أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن من طريق عمر بن هارون، قال: حدثنا عمر بن عطاء، عن أبيه، عن ابن عباس..... ثم النور، ثم الحج، ثم المنافقون[٦].

أما ما ذكره الشيخ الطاهر بن عاشور أن الأثر الأول من رواية جابر بن زيد عن ابن عباس فهذا مما لا يعرف، إنما هو عن جابر بن زيد من قوله[٧] إضافة إلى ذكر ترتيبها فقال: عدت السورة الخامسة والمائة في عداد نزول سور القرآن في رواية جابر بن زيد، عن ابن عباس[٨].

---

(١) محمد بن أحمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، ١٢: ١.

(٢) عبد الرحمن بن محمد مخلوف الثعالبي، "تفسير الثعالبي، المعروف بـ«الجواهر الحسان في تفسير القرآن»"، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت)، ٦: ٢٧٩.

(٣) ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ٤: ١٠٥.

(٤) محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي، "التسهيل لعلوم التنزيل"، ٢: ٣٢.

(٥) أخرجه أبو عمرو عثمان بن سعيد الأموي الداني، "البيان في عدّ آي القرآن"، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (ط١، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م)، ص (١٣٧).

(٦) أخرجه أبو عبد الله محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي، "فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة"، تحقيق: غزوة بدير، (ط١، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م)، رقم (١٧)، وفي إسناده عمر بن هارون البلخي وهو متروك. محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وآخرين، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م)، ٣: ٢٢٨.

(٧) محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، (الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، ١٩٨٤م)، ١٧: ١٨٣.

(٨) السابق.

أما ترتيبها عند جابر بن زيد: الخامسة بعد المائة، وعند ابن عباس: الثالثة بعد المائة كما في روايتيهما، أما ترتيبها حسب المصحف العثماني فهي السورة الثانية والعشرون.

ثالثا: عدد آياتها:

مما اختلف فيه العلماء أيضًا بشأن سورة الحج اختلافهم في عدد آياتها، فهي عند الكوفيين ثمان وسبعون آية(١)، قال أبو عمرو الداني: هي سبعون وأربع آيات في الشامي، وخمس في البصري، وست في المدني، وسبع في المكي، وثمان في الكوفي. ولهذا الاختلاف تفصيلات يضيق عنها المقام، وهي مبسوطة في كتب العلم(٢).

رابعًا: بداية نزول السورة:

ورد عن بعض صحابة النبي ﷺ أن بداية سورة الحج نزلت في سفر، جمع بين النبي ﷺ وجماعة من صحابته الكرام، فعن عمران بن حصين؛ قال: كنا مع رسول الله ﷺ في مسير، فتفاوت بين أصحابه في السير فرفع صوته بهاتين الآيتين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١﴾ (٣) الآيتين، فلما سمع أصحابه ذلك حثوا المطايا وعرفوا أنه عنده قول يقوله، فقال: « هل تدرون أي يوم ذاكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال: ذاكم يوم ينادي الله فيه آدم فيقول: يا آدم ابعث بعث النار ..... الحديث »(٤).

---

(١) أبو إسحاق الثعلبي، "الكشف والبيان"، ٧: ٥، البغوي، "معالم التنزيل"، ٣: ٣٢٢، محمود بن عمر الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م)، ٣: ١٤١.

(٢) أبو عمرو الداني، "البيان في عدّ آي القرآن"، ص (١٨٩-١٩٠).

(٣) سورة الحج آية: ١.

(٤) أخرجه محمد بن عيسى الترمذي، "سنن الترمذي". تحقيق: أحمد شاكر، (ط٢، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، في كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحج، ٥: ٣٢٣، حديث (٣١٦٩) من طريق قتادة عن الحسن عن عمران به.

خامسًا: سبب تسمية السورة

سورة الحج عرفت بهذا الاسم منذ بداية نزولها، ولا يعرف لها اسم آخر، ولعل سبب تسميتها بهذا الاسم ما ورد فيها من حديث يفصل عن الحج وشعائره ومناسكه وما اتصل من إبراهيم – عليه الصلاة والسلام– بالبيت العتيق، وأمر الله – سبحانه– إياه بالأذان في الناس بالحج(١).

سادسًا: فضائل السورة:

لسورة الحج فضائل خاصة، لعل من أبرزها فيما يمكن أن يتسع لذكره هذا الموضع ما يلي:

١– أنها خصت بسجدتي تلاوة، دون سائر السور الأخرى التي ورد فيها سجود التلاوة، فروى عقبة بن عامر رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله: فى سورة الحج سجدتان؟ قال: نعم، ومن لم يسجد فلا يقرأها(٢)، وعن عمرو بن العاص، «أن رسول الله ﷺ أقرأه خمس عشرة سجدة في القرآن، منها ثلاث في المفصل، وفي سورة الحج سجدتان»(٣)، وعن نافع، أن عمر وابن عمر رضي الله عنهما، كانا يسجدان في الحج

(١) محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٧: ١٧٩.

(٢) أخرجه سليمان بن الأشعث، أبي داود السجستاني الأزدي، "سنن أبي داود" (ط١، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م) في كتاب الصلاة، باب: كم سجدة فى القرآن، ٢: ١٢٠، ١٢١، الحديث (١٤٠٢)، والترمذي، "سنن الترمذي" في كتاب السفر، باب: السجدة في الحج، ٢: ٤٦، الحديث (٥٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود، "سنن أبي داود"، كتاب الصلاة، باب: كم سجدة في القرآن، ٢: ١٢٠، الحديث (١٤٠١)، والحافظ أبي عبد الله محمد بن زيد بن ماجه، "سنن ابن ماجه"، تحقيق: بشار عواد، (ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ– ١٩٩٨م)، في باب عدد سجود القرآن، ١: ٣٣٥، الحديث (١٠٥٧)، والحاكم محمد بن عبد الله أبي عبد الله النيسابوري، "المستدرك على الصحيحين"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ–١٩٩٠م)، ١: ٢٢٣. وقال: هذا حديث رواته مصريون وقد احتج الشيخان بأكثرهم وليس في عدد سجود القرآن أتم منه.

سجدتين. قال: وقال ابن عمر رضي الله عنهما: فُضِّلت بسجدتين[١].

٢- ومن فضائلها أيضًا: أن بها أول آية نزلت في القتال، فعن الزهري، قال: أول آية نزلت في القتال ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[٢]، ثم ذكر القتال في آيٍ كثيرة[٣].

٣- ومن فضائل ما خصت به سورة الحج أيضًا أنها جمعت بين المكي والمدني، والليلي والنهاري، والحضري والسفري، والحربي والسلمي، قال هبة الله بن سلام: هي من أعاجيب سور القرآن؛ لأن فيها مكيًّا ومدنيًّا، وحضريًّا وسفريًّا، وحربيًّا وسِلْمِيًّا، وليليًّا ونهاريًّا، وناسخًا ومنسوخًا[٤].

(١) أخرجه أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، "المصنف"، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ)، ٣: ٣٤١، رقم (٥٨٩٠).

(٢) سورة الحج آية: ٣٩.

(٣) أخرجه أبي عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، "الناسخ والمنسوخ" تحقيق: محمد بن صالح، (ط٢، مكتبه الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م)، رقم (٣٥٤).

(٤) أبو القاسم هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري، "الناسخ والمنسوخ"، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، (ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ)، ص (٢٦) .

المطلب الثاني
آيات التقابل في سورة الحج

بعد الذي تبيّناه في المطلب السابق من وجيز التعريف بسورة الحج المباركة، وما تكشّفه البحث في المبحثين السابقين من حديث العلماء وأهل اللغة في تجلية معنى التقابل وبسط مفهومه في اللغة والاصطلاح، وما يدور حوله ويتداخل فيه من معان ومفاهيم ذات صلة به، وما عرضنا له حول ظاهرة التقابل بين القديم والحديث؛ يمكن للبحث أن يسلك في مطلبه الأخير هذا إلى تتبع طرائق التقابل ومظاهر أسلوبه التى حفلت بها سورة الحج المباركة، هذه المظاهر التي استلفتت أنظار غير قليل من العلماء والمفسرين والبلاغيين قدمائهم ومحدثيهم، ومن أبرزهم: أبو السعود في تفسيره(١)، وابن عطية(٢)، والبقاعي(٣)، وابن عاشور(٤)، ومحيي الدين الدرويش(٥).

فنعرض لها في النسق الذي يمكن استخلاصه من رؤاهم ودراساتهم للتقابل في السورة الكريمة، ومن إمعان النظر وتقليب الفكر في تتبع التقابل واستقصاء مظاهره الأسلوبية في سورة الحج المباركة؛ الذي يتكشف عن اعتماد الخطاب القرآني في السورة الكريمة على هذا الأسلوب – إلى حد كبير وجد ملحوظ– بلوغًا إلى إبراز المعاني والقضايا الإيمانية التي تضمنتها السورة الكريمة، وشحذ هذا الأسلوب البلاغي الأصيل من أساليب اللغة بالطاقات النفسية والوجدانية والذهنية القمينة ببلوغ مراميها في عقل المخاطَب بها؟ لتستثيره إلى التفكر فيها ثم لتستقر في نفسه يقينًا عقديًا

(١) محمد ابن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبي السعود، "تفسير أبي السعود المسمى بـ«إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»"، (نشر مطبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة)، ٥: ١١٧.

(٢) ابن عطية، "المحرر الوجيز"، ١٠: ٢٥١.

(٣) إبراهيم بن عمر البقاعي برهان الدين، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور". تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م)، ١٣: ٣١.

(٤) محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٦: ٢٣١.

(٥) محيي الدين الدوريش، "إعراب القرآن وبيانه"، (ط٩، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ٢٠٠٥م)، ٦: ٣٩٥.

وإيمانيًّا خالصًا.

كما يتكشف تسريح النظر في السورة الكريمة عن انتساق أسلوب التقابل فيها في الأصعدة الأربعة التالية:

الصعيد الأول: التقابل بين المفردات:

وهو ضرب التقابل أو المقابلة الذي يسميه جماعة من علماء اللغة والبلاغة بالطباق، في حين يميل فريق آخر منهم إلى التمييز بينه وبين الطباق. ويعرض فضل عباس بشيء من تفصيل هذا الاختلاف بين الفريقين، ليخلص إلى قناعته برأي أصحاب الفريق الأول الذين يرون أن الطباق والمقابلة هما اسمان لمسمى واحد؛ إذ يقول: جمهور العلماء على أن المقابلة غير الطباق، والمقابلة عندهم أن يؤتى بمعنيين فأكثر ثم بما يقابل هذه المعاني، أما الطباق فلا يكون إلا بين معنى واحد وما يقابله، فأنت ترى أن الطباق يكون بين معنيين، أما المقابلة فيشترط لها أكثر من ذلك، ولا نرى ضرورة لهذا الاصطلاح ما دام الموضوع واحدا، ولم لا تكون المطابقة والمقابلة شيئًا واحدًا، وتكون بين الواحد وما يقابله أو بين معنيين وما يقابلهما أو بين ما يزيد على اثنين؟ ولا مشاحة في الاصطلاح كما يقولون[1].

وفي نحو من الميل إلى هذا الرأي الذي لا يرى كبير فرق بين التقابل أو المقابلة وبين الطباق؛ يمكن لنا تناول التقابل بين المفردات ضمن هذا الصعيد الأول من أصعدة التقابل ومظاهره الأسلوبية في سورة الحج؛ من خلال المحورين التاليين:

المحور الأول: المقابلة بين المفردات الواردة في الآيات الكونية:

في هذا المحور من محاور التقابل بين المفردات حفل الخطاب القرآني في سورة الحج بطائفة من الآيات الكونية التي بسطها للأنظار والأفهام لتدل المخاطَب على

(١) ينظر: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، "معترك الأقران في إعجاز القرآن"، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م)، ١: ٣١٤.

عظيم قدرة الله تعالى وجليل نعمه، ومحكم تدبيره في ملكه، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ ..وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾ (١)، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ﴾ (٢)، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ (٣)، وقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ﴾ (٤)، وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٥).

فيقف التأمل بالنظر عند المقابلة بين الألفاظ الدالة على بعض تلك الآيات الكونية التي بسطتها سورة الحج، وبين أضداد تلك الألفاظ، إذ عرضت الآيات الكريمة: للفظ الليل؛ وهو يتقابل مع النهار، والسماء وتقابلها مع الأرض، والحياة وتقابلها مع الموت، والهمود وتقابله مع الاهتزاز والإنبات؛ وهو بمعنى الحركة والحياة.

لينفذ العقل الذي يتلقى هذا الخطاب والقلب الذي يستقبله إلى أن هذه الضدية التي انطوت تلك الألفاظ في إطارها هي من دلائل قدرة الله تعالى، إذ هو – سبحانه – القادر على جمع كل ضدين منهما وإعقاب أحدهما للآخر وإدخال أحدهما في الآخر وانتقاص أحدهما من الآخر أو انتقاص الآخر منه؛ كالليل والنهار – إذ يرسلهما –

(١) سورة الحج آية: ٥.
(٢) سورة الحج آية: ٦١.
(٣) سورة الحج آية: ٦٣.
(٤) سورة الحج آية: ٦٥.
(٥) سورة الحج آية: ٦٦.

سبحانه – بهذه الشواهد من شواهد قدرته[١].

ومما لا خفاء لما فيه من جزيل إنعام الله – تعالى – على العباد وتدبيره لمصالحهم ومنافعهم؛ في آية إنزال المطر من السماء وإنبات الأرض به أن تدبيره – سبحانه– لهذا الأمر من خلال هذه الآية، وما ينطوي عليه من عناصر متقابلة؛ إنما هو لأقواتهم وكفالة العيش لهم[٢]. وعبر إمعان بصيرة العقل والقلب في هذه النعم يمكن للمرء أن يستبين أن الصلة بينه هو نفسه إذ هو محصور في دائرة يحيط بها الموت والحياة، وبين السماء إذ ينزل منها الماء على الأرض فتنبت نباتها؛ هي صلة قوامها الانتفاع، اذ ينتفع من توالُج الليل والنهار ومن نزول الماء من السماء على الأرض، وأنه في كل ذلك محاط بحدَّي الحياة والموت اللذين يحيطان بوجوده المؤقت، فلا يملك – إذا أصفى نفسه لهذا الخطاب الحكيم – إلا أن يتجه بمجامع نفسه إليه – سجانه – الحي الذي لا يموت.

يقول الإمام البقاعي: ولما تم هذا الدليل على الساعة محكم المقدمات واضح النتائج، وكان أول الإيجاد فيه غير مشاهد فعبر عنه بما يليق به، أتبعه دليلاً آخر محسوساً، وعطفه على ما أرشد إليه التقدير من نحو قوله: تجدون أيها الناس ما ذكرناه في أنفسكم، فقال: ﴿ وَتَرَى ﴾ فعبر بالرؤية ﴿ ٱلْأَرْضَ ﴾ ولما كان في سياق البعث، عبر بما هو أقرب إلى الموت فقال: ﴿ هَامِدَةً ﴾ أي يابسة مطمئنة ساكنة سكون الميت ليس بها شيء من نبت، ولعله أفرد الضمير توجيهاً إلى كل من يصلح أن يخاطب بذلك ﴿ فَإِذَآ ﴾ أي فننزل عليها ماء من مكان لا يوجد فيه ثم ينزل منه إلا بقدرة عظيمة وقهر باهر، فإذا ﴿ أَنزَلْنَا ﴾ بما لنا من العظمة ﴿ عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ

(١) ينظر: محمود بن عبد الله الألوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ)، ٩: ١٩٠.

(٢) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٨٢، ومحمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٦: ٣١٨.

﴿ ٱهۡتَزَّتۡ ﴾ أي تحركت بنجوم النبات اهتزاز الحي، وتأهلت لإخراجه[١].

وقال أيضًا في تفسير قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١ ﴾ [٢]، وقوله: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَتُصۡبِحُ ٱلۡأَرۡضُ مُخۡضَرَّةًۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ٦٣ ﴾ [٣] : ولما كان هذا إنتاجاً للأشياء من أضدادها، لأن كلاً من الماء في رقته وميوعه والتراب في كثافته، وجموده في غاية البعد عن النبات في تنوعه وخضرته، ونموه وبهجته[٤].

وقال البيضاوي عند قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٦١ ﴾ [٥] : أن الله تعالى قادر على تغليب الأمور بعضها على بعض جار على عادته على المداولة بين الأشياء المتعاندة ومن ذلك إيلاج أحد المَلَوَيْنِ في الآخر، بأن يزيد فيه ما ينقص منه، أو بتحصيل ظلمة الليل في مكان ضوء النهار بتغييب الشمس وعكس ذلك باطلاعها[٦]، وبنحوه قاله الأيجي في تفسيره[٧].

وقال القنوجي: من كمال قدرته إيلاج الليل في النهار والنهار في الليل. قاله الرازي. وقال البيضاوي: قادر على تقليب الأمور بعضها على بعض، جارية عادته

---

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٨٢.

(٢) سورة الحج آية: ٦١.

(٣) سورة الحج آية: ٦٣.

(٤) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٨٣.

(٥) سورة الحج آية: ٦١.

(٦) عبد الله بن عمر، البيضاوي، "تفسير الإمام البيضاوي"، تحقيق: عبد القادر عرفات العشا حسونة، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م)، ٤: ٧٧.

(٧) محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله، الإيجي الشيرازي، "جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الإيجي)"، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، ٣: ٦٨.

على المداولة بين الأشياء المتعاندة، وعبر عن الزيادة بالإيلاج لأن زيادة أحدهما تستلزم نقصان الآخر. وقيل يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار، وذلك بغيبوبة الشمس، ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بطلوع الشمس، فالمراد تحصيل أحد العرضين في محل الآخر(١).

المحور الثاني: التقابل في مفردات الآيات التي تميز الإيمان من الكفر:

ففي هذا المحور الثاني من محاور التقابل بين المفردات في خطاب القرآن الكريم في آيات سورة الحج – عبر أسلوب التقابل – يبسط القضيتين اللتين عليهما مدار الدين والرسالات جميعًا، وهما الإيمان والكفر، فقابل خطاب السورة بين الإيمان الذي عبرت عنه بتعبيرات من مثل قوله – تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾(٣)، وبين الكفر الذي عبرت عنه بتعبيرات من مثل قوله تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ ﴾(٥)، وقوله تعالى: ﴿ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ ﴾(٦)، وقوله تعالى: ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾(٧).

ومن خلال تقابلات السياقات التي وردت فيها هذه الآيات وتلك التعبيرات فقد بلغ الخطاب القرآني مبلغه من التفرقة والتمييز بين طائفتي المؤمنين الذين اتصلوا بالمنهج

(١) صديق، حسن خان، "فتح البيان في مقاصد القرآن"، (دار أم القرى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م)، ٩: ٧٦.

(٢) سورة الحج الآيات: ١٤، ١٧، ٢٣، ٣٨، ٥٠، ٥٤، ٧٧.

(٣) سورة الحج آية: ٢٤.

(٤) سورة الحج الآيات: ١٩، ٢٥، ٥٥، ٥٧، ٧٢.

(٥) سورة الحج آية: ١٧.

(٦) سورة الحج الآية: ٩.

(٧) سورة الحج آية: ١١.

الإلهي عقيدة وعملًا، والكفار وأضرابهم من المشركين والمتشككين وأصحاب الضلالات.

ولقد سلك الخطاب القرآني – عبر أسلوب التقابل – كل طائفة منهما فيما يناسبها ويوافقها من المعاني، فالذين آمنوا كانوا خليقين بالهداية، والذين كفروا وأشركوا وتكبروا وتشككوا كان مناسبًا لهم الضلال والخسران. وإذا كان هذا الذي يناسب كل طائفة من الطائفتين هو في الدنيا، فان مثله من المناسبة والموافقة هو لكل منهما في الآخرة أيضًا، حيث للمؤمنين الهداية إلى صراط الله الحميد وإلى جنات النعيم، وللكافرين الضلال وسوء المآل إلى النار وعذاب الجحيم.

فعند قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

يقول الإمام البقاعي: ولما كان السياق لخصومة أولياء الله المتصفين بما هو مقصود السورة من التقوى للكفار، المنابذين لها بكل اعتبار، اقتضى ذلك بشارة للأولياء ونذارة للأعداء[2].

(١) سورة الحج الآيات: ١٩-٢٥.

(٢) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٣٠.

وفي حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي: يعني أن الكلام مسوق للإخبار عن الفريقين بما ينالونه في الآخرة فلما أخبر عن الفريق الأول وهم الذين كفروا بما ينالونه فقيل أن الذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار فظاهر الأسلوب يقتضي أن يقال في مقابليهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات يدخلون جنات لكن غير النظم عن مقتضى الظاهر إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾[1] [2].

الصعيد الثاني: التقابل بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين:

والتقابل الذي انتهجت سورة الحج أسلوبه – على هذا الصعيد – للتعبير عن قضيتي الإيمان والكفر، هو ما قابلت به بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين[3]. فعرضت لجزاء المؤمنين في الآيات: (١٤، ٢٣، ٢٤، ٥٠، ٥٤، ٥٦، ٥٨، ٥٩)، وعرضت لجزاء الكافرين في الآيات: (٤، ٩، ١١، ١٩، ٢٠، ٢١، ٥١، ٥٧، ٧٢).

فكانت صور جزاء المؤمنين التي عرضت لها الآيات عبارة عن:

– جنات تجري من تحتها الأنهار/ – جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير/ – وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد/ – لهم مغفرة من ربهم ورزق كريم/ – الهداية إلى الصراط المستقيم/ – جنات النعيم/ – ليرزقنهم رزقًا حسنا/ – ليدخلنهم مدخلًا يرضونه.

وفي مقابل كل صنف من صنوف هذا الجزاء كانت صور جزاء الكافرين متمثلة في:

---

(١) سورة الحج آية: ١٤.

(٢) ينظر: عصام الدين، إسماعيل بن محمد، "حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد"، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)، ١٣: ٣٨.

(٣) ينظر: محمود البستاني، "القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي"، (جمع البحوث الإسلامية، ١٩٩٣م)، ص (١٥٦).

– يصب من فوق رؤوسهم الحميم/ – يصهر ما في بطونهم والجلود/ – ولهم مقامع من حديد/ – قطعت لهم ثياب/ – يضله ويهديه إلى عذاب السعير وعذاب النار/ – ونذيقه يوم القيامة من عذاب الحريق/ – الخسران المبين، الجحيم/ – عذاب الحريق/ – عذاب مهين.

والمتأمل لهذه الصور بالنسبة للمؤمنين أو للكافرين يرى أن هذه الصور تنحصر في سياق المكان واللباس والطعام والشراب والحلية، ثم عقدت المقابلة داخل كل نسق فيها بين جزاء كل فريق منهما. وهذه الأنساق أو المجالات أو الأطر هي ما يمكن استخلاصه فيما يلي:

أولاً: سياق المكان:

حيث بينت الآيات مكان كل فريق من الفريقين؛ فهو للمؤمنين جنات النعيم، وللكافرين هو الجحيم. وبين المكانين تقابل يعكس البون الشاسع بينهما، كما أن بينهما تقابلاً عرضت فيه الآيات لصور النعيم الذي يلقاه المؤمنون في أوَّلهما، ولصور العذاب الذي يلقاه الكافرون في ثانيهما.

فالجنات التي يؤول إليها المؤمنون تجري من تحتها الأنهار، ليكرموا وينعموا وتطيب أنفسهم، والجحيم الذي يؤول إليه الكافرون يصب فيه الحميم من فوق رءوسهم، فيصهر جلودهم، وبطونهم، ولهم فيه مقامع من حديد وثياب من نار، ليهانوا ويعذبوا ويذلوا وتشقى أنفسهم.

فما أوسع شقة هذا التقابل[1] بين جريان الماء من تحت الجنات التي ينعم فيها المؤمنون، وبين انصباب الحميم– الذي هو النحاس المذاب، وقيل: هو الماء البالغ أقصى درجات شدة الحرارة[2] – فوق رءوس الكافرين حتى ليصهر منهم الجلود، وتنفذ

(١) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٦: ٢٣٠.

(٢) ينظر: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، (ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م)، ص (٤١٩).

حرارته إلى أحشائهم، فتصهرها كذلك.

والمكان هنا المقصود منه مآل المؤمنين والكافرين، فبالنسبة للمؤمنين – جنات تجري من تحتها الأنهار/ – جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها ..../ – وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد/ – جنات النعيم/ – مدخلًا يرضونه.

أما الكافرون فمكانهم ما ورد في الآيات– يضله ويهديه إلى عذاب السعير وعذاب النار/ – ونذيقه يوم القيامة من عذاب الحريق/ – الخسران المبين، الجحيم/ – عذاب الحريق/ – عذاب مهين.

والمقابلة هنا في حال المكان في قوله تعالى: – جنات تجري من تحتها الأنهار/ – جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها... وفي قوله تعالى: – يصب من فوق رؤوسهم الحميم/ – يصهر ما في بطونهم والجلود.

ففي قوله تعالى: ﴿ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

قيل إن الآيات نزلت في الجنة والنار اختصمتا، فقالت الجنة: خلقني الله؛ ليرحم

(١) سورة الحج الآيات: ١٩–٢٥.

بي، وقالت النار: خلقني الله؛ لينتقم بي، وهذا قول عكرمة[١].

والمقابلة في الآيات تظهر من قول الإمام البقاعي: ولما كان السياق لخصومة أولياء الله المتصفين بما هو مقصود السورة من التقوى للكفار، المنابذين لها بكل اعتبار، اقتضى ذلك بشارة للأولياء ونذارة للأعداء[٢].

وقال: قوله: ﴿ مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ أي المياه الواسعة، أينما أردت من أرضها جرى لك نهر في مقابلة ما يجري من فوق رؤوس أهل النار ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا ﴾ في مقابلة ما يزال من بواطن الكفرة وظواهرهم[٣].

ثانيًا: سياق الحلية والزينة:

أما في سياق الحلية والزينة فقد بينت الآيات أنواع الحلي والزينة التي يلبسها كل فريق من الفريقين، فهي للمؤمنين ﴿ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗا ﴾، وهي للكافرين ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ ﴾ أي: سياط[٤]، وقيل: هي عمود حديد يضرب به الرأس والوجه ليرد المضروب عن مراده رداً عنيفاً عُمُد يضربون بها على رءوسهم وعلى وجوههم[٥].

وبين أنواع حلية المؤمن والكافر هنا تقابل يرى من خلاله بُعد ما بين جزاء أهل الإيمان وأهل الكفر، كما أن بينهما تقابلا يستبين من خلاله النعيم الذي ينعمه المؤمنون والعذاب الذي يعذب به الكافرون. فشتان ثم شتان ما بين أساور الذهب

(١) ينظر: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار، السمعاني، "تفسير القرآن"، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، (ط١، دار الوطن، الرياض، السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م)، ٣: ٤٢٩.

(٢) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٣٠.

(٣) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٣١.

(٤) ينظر: الزمخشري، "الكشاف"، ٣: ١٥٠.

(٥) ينظر: البقاعي "نظم الدرر"، ١٣: ٣٠.

واللؤلؤ، وهي من مجالي النعيم الذي تطيب به النفس، وبين مقامع الحديد التي يرد بها الكفار ردًّا عنيفًا في النار(١)؛ إذ تنازعهم أنفسهم إلى الخروج والفرار منها. وكذلك شتان بين أساور الذهب وبين الحميم المصبوب فوق الرءوس، تنعيمًا لأصحاب الأساور، ونكالاً لأصحاب الحميم.

قال البقاعي: يُحَلَّوْنَ فِيهَا: في مقابلة ما يزال من بواطن الكفرة وظواهرهم(٢).

وقال ابن عاشور: وقوله: يحلون فيها من أساور من ذهب يقابل قوله يصب من فوق رؤسهم الحميم(٣).

ثالثا: سياق اللباس:

في هذا السياق بينت الآيات الكريمة لباس كل فريق من الفريقين، فهو للمؤمنين ألبسة من حرير، وهو للكافرين ثياب قطعت لهم من النار. وفي هذا التقابل بين نوعي اللباس ما يشير إلى تقابل آخر بين نعيم أصحاب اللباس الأول، وبين عذاب أصحاب اللباس الثاني، وفيه أيضًا إشارة لشدة ما يؤخذ به الكافرون من العذاب، يدل عليه صيغة المبالغة(٤) التي تفهم من تقطيع ثياب النار لهم؛ دلالة على القوة التي تشي بالحرص على سرعة الانتقام منهم.

قال البقاعي: ﴿ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾في مقابلة ثياب الكفار كما كان لباس الكفار في الدنيا حريراً، ولباس المؤمنين دون ذلك(٥).

قال ابن عاشور: وقوله: ولباسهم فيها حرير مقابل قوله: قطعت لهم ثياب من

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٣٠.
(٢) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٣١.
(٣) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٦: ٢٣١.
(٤) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٦: ٢٣٠.
(٥) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٣١-٣٢.

نار[1].

وما أجزل من قول الإمام الرازي في تفسيره: فبين الله تعالى حكمه في الكفار، وذكر من أحوالهم أمورا ثلاثة:

أحدها: قوله: قطعت لهم ثياب من نار والمراد بالثياب إحاطة النار بهم كقوله تعالى: ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ﴾[2] وأخرج الكلام بلفظ الماضي كقوله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾[3]، ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾[4] لأن ما كان من أمر الآخرة فهو كالواقع.

وثانيها: قوله: ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾، الحميم الماء الحار، قال ابن عباس رضي الله عنهما لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها، (يصهر) أي يذاب أي إذا صب الحميم على رؤوسهم كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر فيذيب أمعاءهم وأحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو أبلغ من قوله: ﴿ وَسُقُوا مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾[5].

وثالثها: قوله: ولهم مقامع من حديد المقامع السياط.

..... ثم إنه سبحانه ذكر حكمه في المؤمنين من أربعة أوجه: أحدها: المسكن، وهو قوله: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، وثانيها: الحلية، وهو قوله: يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير فبين تعالى أنه موصلهم في الآخرة إلى ما حرمه عليهم في الدنيا من هذه الأمور وإن

---

(١) السابق.

(٢) سورة الأعراف آية: ٤١.

(٣) سورة الكهف آية: ٩٩.

(٤) سورة ق آية: ٢١.

(٥) سورة محمد آية: ١٥.

كان من أحله لهم أيضا شاركهم فيه لأن المحل للنساء في الدنيا يسير بالإضافة إلى ما سيحصل لهم في الآخرة. وثالثها: الملبوس وهو قوله: ولباسهم فيها حرير، ورابعها: قوله: وهدوا إلى الطيب من القول وفيه وجوه[1].

وقال الإمام أبو جعفر الغرناطي: أن زيادة قوله: (من غم) في الآية الأولى مناسب لما ورد قبله وبعده من تفصيل الجزاء في الطرفين بعد ذكر الحالين من نعيم أو عذاب لما قال تعالى: ﴿ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾[2] إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ ﴾[3]، وقال في الطرف الآخر: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾[4] إلى قوله: ﴿ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ﴿٢٣﴾ ﴾[5]، ففصل حال هؤلاء، فناسب هذا زيادة: (من غم)، ونظير هذا التفصيل قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ﴾ [6] [7].

رابعًا: سياق الطعام:

في هذا السياق قابلت الآيات الكريمة بين طعام كل من المؤمنين والكافرين، فهو

---

(١) محمد بن عمر بن الحسين، الرازي، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بـ «التفسير الكبير»، ومفاتيح الغيب"، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م)، ٢٣: ٢١٥.

(٢) سورة الحج آية: ١٩.

(٣) سورة الحج آية: ٢١.

(٤) سورة الحج آية: ٢٣.

(٥) سورة الحج آية: ٢٣.

(٦) سورة النساء آية: ٥٧.

(٧) أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي، الغرناطي، أبو جعفر، "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل"، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان)، ٢: ٣٥٨.

للمؤمنين رزق كريم ورزق حسن، وهو للكافرين حميم يصهر ما في بطونهم. وفي التقابل بين هذين النوعين من الطعام ما يشير إلى التقابل بين نعيم المؤمنين أصحاب الرزق الحسن والرزق الكريم، وبين عذاب الكافرين أصحاب الحميم؛ إذ ما أبعد الفرق بين الرزق الذي هو العطاء المتفضل به على المؤمنين من ربهم، وهو حسن وكريم في ذاته وحسن وكريم لأنه من الله تعالى، وإن في حسنه وكرامته ما يشف عن معنى إرضائهم ورضائهم وطيب أنفسهم به، وبين الحميم الذي إذا صب على رءوس الكافرين كان تأثيره في الباطن نحو تأثيره في الظاهر، فيذيب أحشاءهم وأمعاءهم، كما يذيب جلودهم[١]، دلالة على مذلتهم وحقارتهم في هذا الموقف المهين.

قال البقاعي: ﴿ يُصَبُّ ﴾ إذا دخلوها ﴿ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ ﴾ أي الماء الحار حرارة لا يدري مقدارها إلا بالذوق – أعاذنا الله منه، واستأنف الإخبار عنه بقوله: ﴿ يُصْهَرُ ﴾ أي يذاب، وأصله المخالطة الشديدة ﴿ بِهِۦ ﴾ من شدة حرارته ﴿ مَا فِى بُطُونِهِمْ ﴾ من شحم وغيره ﴿ وَٱلْجُلُودُ ﴾ فيكون أثره في البطن والظاهر سواء[٢].

الصعيد الثالث: التقابل غير المباشر:

والتقابل الذي انتهجت سورة الحج المباركة أسلوبه – على هذا الصعيد – هو ضرب من التقابل لا تذكر فيه المقابلة بين الشيئين نصًّا، بل يكون بنحو ضمني غير مباشر[٣]. وقد جاء هذا الضرب من التقابل في السورة في محورين:

المحور الأول: التقابل المقطعي:

وفيه يكون التقابل "بين مقطعين أو أجزاء من النص"[٤]، وفي سياق هذا التقابل

(١) ينظر: الزمخشري، "الكشاف"، ٣: ١٥٠.

(٢) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٣٠.

(٣) ينظر: محمود البستاني، "القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي"، ص (١٥٦).

(٤) محمود البستاني، "القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي"، ص (١٥٦).

أوردت الآيات أنواعا من جزاء المؤمنين وأنواعا من جزاء الكافرين، وقد كانت أنواع كلا الجزاءين غير محصورة في الجزاء الأخروي الذي عرضنا له آنفًا، بل كان منه ما أشارت الآيات إلى وقوعه في الحياة الدنيا.

وللتأمل في المقابلة بين هذين النوعين نتناولهما على النحو التالي:

أولاً: الجزاء في الحياة الدنيا:

حيث عرضت الآيات لجزاء المؤمنين بعبارة صريحة في نصها على هذا الجزاء، وفي ثنايا ذلك وفيما يفهم ضمنًا منه كان عرض الآيات لما يقابله من جزاء الكافرين وعقوبتهم.

وهو التقابل غير المباشر الذي ورد به الخطاب القرآني في الآيات: (٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٦٠) من السورة الكريمة، فنصت على جزاء المؤمنين في الدنيا، ومن خلال هذا النص كانت الإشارة الضمنية لجزاء الكافرين، وهو ما تمثل للمؤمنين في: – النصرة على أعدائهم/ – التمكين في الأرض/– النصرة بعد الظلم.

وهو ما يفهم منه ضمنًا جزاء الكافرين في الدنيا متمثلاً في مقابل ذلك وهو: – الإمهال ثم العذاب/ – الإهلاك/ – الهزيمة.

فإذا ما تأمل النظر فيما صرحت به الآيات من جزاء المؤمنين في الدنيا، لبلغ إلى المقارنة بين ما قابلت به تلك الآيات ضمنًا هذا الجزاء مع جزاء الكافرين.

فالحديث عن عاقبة المؤمنين جاء بلفظ المضارع المؤكد بالنون الثقيلة في قوله: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾[1]، والماضي الذي جاء بصيغة الشرط في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2] فالملاحظ أن النصرة جاءت بصيغة

(١) سورة الحج آية: ٤٠.

(٢) سورة الحج آية: ٤١.

المضارع الدال على التجدد والاستمرارية، ويفهم من لفظ النصرة وجود الهزيمة للطرف الآخر، وإن لم يذكر في الآيات، كما أن لفظ التمكين يدل على نصرة هؤلاء المؤمنين على أعدائهم وإن لم يذكر لفظ الأعداء أيضا، فالآيات التي جاءت متضمنة هذين المعنيين: "النصرة، والتمكين" لم تذكر أحوال الطرف الآخر وعاقبته في سياقها، بل فهم جزاؤهم المقابل لذلك ضمنًا، في مظهر للتقابل غير المباشر الذي انتهجت الآيات أسلوبه.

ثانيا: الجزاء في الدار الآخرة:

وهو الجزاء الذي عرضنا آنفًا لسياقات تقابله التي أوردتها الآيات الكريمة، فلا مدعاة لتكراره.

المحور الثاني: التقابل البنائي:

وفيه يكون التقابل الذي يستخلصه القارئ من خلال وقوفه عند هيكل النص، أي أن هناك تقابلًا لا يتبينه القارئ بسهولة، بل يتطلب تأملًا ذهنيًّا لعمارة النص حتى يستخلص هذا التقابل.

وقد جاء هذا المحور من التقابل موزعًا في سورة الحج على نحو من التناسب والتناسق والتكامل بين مختلف الموضوعات والقضايا التي تطرقت إليها السورة؛ فبالإضافة إلى احتواء السورة على الآيات المكية والمدنية وما بينها من تقابل في طرق الموضوعات وتقابل في هيكلية التركيب، فإن هناك سياقات أخرى من التقابل انطوى عليها خطاب السورة الكريمة؛ نعرض لأبرز مظاهره الأسلوبية فيما يلي:

أولاً: التقابل بين مفتتح السورة وختامها:

ففي هذا السياق من التقابل يلحظ المتدبر أن السورة الكريمة قد افتتحت خطابها بالأمر والتنبيه والتوكيد على التقوى التي فيها النجاة من أهوال يوم القيامة وما فيه وما

بعده من العذاب[1]؛ إذ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢ ﴾[2]، وختمته بذكر وتعداد وتبيان ما تتأتى به التقوى، إذ قال – تعالى-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ۝٧٧ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ ﴾[3]. وأدق ما يوصف به هذا السياق من التقابل الذي انتهجت السورة الكريمة أسلوبه في هذا المفتتح وهذا الختام هو شبهه بالميزان الذي تتعادل كفتاه؛ حيث كفته الأولى فيها: الإيمان والصلاة والعبادات وفعل الخيرات والجهاد الحق في سبيل الله، والكفة الثانية فيها: النجاة من فزع زلزلة الساعة وما فيها من أهوال وعذاب شديد، فكان هذا التقابل في ذروة حسن البيان والتصوير الدقيق لقضية التقوى المنجية من العذاب.

قال تكلم الإمام البقاعي عن التقابل بين افتتاح السورة وختامها فقال: ولما ندبهم لأن يكونوا خير الناس، تسبب عنه قوله: ﴿ فَأَقِيمُواْ ﴾أي فتسبب عن إنعامي عليكم بهذه النعم وإقامتي لكم في هذا المقام الشريف أني أقول لكم: أقيموا ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ التي هي زكاة قلوبكم، وصلة ما بينكم وبين ربكم ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ التي هي طهرة أبدانكم، وصلة ما بينكم وبين إخوانكم ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ ﴾أي المحيط بجميع صفات الكمال.

في جميع ما أمركم به، من المناسك التي تقدمت وغيرها لتكونوا متقين، فيذب عنكم من يريد أن يحول بينكم وبين شيء منها ويقيكم هول الساعة؛ ثم علل أهليته

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ١، ٢.

(٢) سورة الحج آية: ١-٢.

(٣) سورة الحج: ٧٧، ٧٨.

لاعتصامهم به بقوله: ﴿ هُوَ ﴾ أي وحده ﴿ مَوْلَىٰكُمْ ﴾أي المتولي لجميع أموركم، فهو ينصركم على كل من يعاديكم، بحيث تتمكنون من إظهار هذا الدين من مناسك الحج وغيرها؛ ثم علل الأمر بالاعتصام وتوحده بالولاية بقوله: ﴿ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ ﴾ أي هو ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ ؛ لأنه إذا تولى أحداً كفاه كل ما أهمه، وإذا نصر أحداً أعلاه على كل من خاصمه «ولا يزال العبد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته» – الحديث، «إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت» وهذا نتيجة التقوى، وما قبله من أفعال الطاعة دليلها. فقد انطبق آخر السورة على أولها. ورد مقطعها على مطلعها – والله أعلم بمراده وأسرار كتابه وهو الهادي للصواب(١).

ثانيًا: التقابل بين مراحل خلق الإنسان والنبات:

ففي هذا السياق من التقابل تحدثت السورة الكريمة في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ﴾(٢) فبينت مراحل خلق الإنسان في رحم أمه، ثم خروجه طفلاً، ثم تدرجه في مراحل عمره، وبينت مراحل خلق النبات، إذ ينزل الماء من السماء على الأرض الهامدة، فيرى منظرها كأنها تهتز من اهتزاز النبات اليانع الخارج منها بهيجًا. فيقف الناظر على مكونات هذا التقابل البنائي الذي انتهجت سورة الحج أسلوبه، متمثلاً فيما يلي:

---

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ١٠٣، ١٠٤.

(٢) سورة الحج آية: ٥.

أ- المقابلة بين مكان تخلق الإنسان – وهو رحم أمه – وتدرج نموه فيه، إلى حين خروجه منه طفلاً، وبين مكان تخلق النبات – وهو الأرض – حتى خروجه منها واهتزازه بالحياة، حتى لترى الأرض منه كأنها هي التي تهتز.

ب- المقابلة بين خروج الإنسان طفلاً من رحم أمه ثم تدرجه في مراحل نموه حتى بلوغه أشد قوته، فارتداده إلى أرذل العمر، وبين خروج النبات بهيجًا، وما ينطوي عليه ذلك من تدرج نموه حتى صيرورته هشيمًا، فعودة الأرض هامدة مرة أخرى.

ج- المقابلة بين مراحل تخلق النطفة في الرحم حتى يخرج الجنين، وبين ما يحدث للنبتة في الأرض حتى تخرج نباتًا بهيجًا.

د- المقابلة بين همود الأرض وموت الإنسان الذي يقابل ذلك ضمنًا من جانب، وبين اهتزاز الأرض بالنبات وحياة الإنسان بعد الموت التي تقابل ذلك ضمنًا.

قال البقاعي: قال الرازي: فكما أن النبات يتوجه من نقص إلى كمال، فكذلك الآدمي يترقى من نقص إلى كمال، ففي المعاد يصل إلى كماله الذي أعد له من البقاء والغنى والعلم والصفاء والخلود، أي السعيد منه في دار السلام مبرأً عن عوارض هذا العالم(١).

ثالثا: التقابل بين ما انطوت عليه آيتا السجدتين:

ففي هذا السياق من التقابل الداخل في التقابل البنائي وردت في سورة الحج آيتا سجدتين، وقد ضمنت كل منهما عناصر متقابلة، كما كان هناك تقابل بين ما ورد في كل منهما والأخرى، فيقول – سبحانه وتعالى – في أولاهما: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا

(١) ينظر: البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ١٣.

يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾[1].

ويقول جل شأنه في ثانيتهما: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾[2].

وإذ يقلب المتدبر نظره في سياق الآيتين يرى مقابلتهما بين المخلوقات التي عبدها الناس من دون الله، والملاحظ أن هذه المخلوقات قسم منها سماوي وهي الشمس والقمر والنجوم، والقسم الآخر منها أرضي وهي الجبال والشجر والدواب[3].

وانطوت الآية الكريمة أيضًا على تقابل بين أصناف الناس من حيث العقيدة، فهنالك المجادل بالباطل، والمتشكك في نصرة الله، والكافر، والمشرك، يقابلهم صنف واحد وهم المؤمنون، فالإيمان هنا يقابله ويضاده الكفر والشرك وغيرهما من ضروب الضلال، وإن كانت الآيتان لم تصرحا بصنوف هؤلاء الضالين، إلا أن انطواء الآيتين عليهم هو بطريق التضمن.

كما قابلت الآيتان بين أنواع العبادة فهنالك العبادة الحركية كالصلاة والحج وهنالك العبادة القلبية كالإيمان وتعظيم شعائر الله وتقوى القلوب، فمن اجتماع هذه العناصر المتقابلة يتضح معنى المفارقة بين هذه الأمور المتقابلة، ذلك أن الأشياء تتميز حينًا من خلال التعريف بها، وحينا من خلال مقارنتها بما يماثلها، وحينًا بما يضادها من الظواهر، وهو ما بلغ فيه الخطاب القرآني في سورة الحج الغاية في البيان والإيضاح ودقة التعبير عن سبيل الهدى، ودقة التصوير لعاقبة الضلال.

الصعيد الرابع: الفواصل التقابلية:

الفاصلة هي وحدة في تكوين الكلام أكبر من اللفظة والجملة، ومن الصور التي

(١) سورة الحج آية: ١٨.

(٢) سورة الحج: ٧٧.

(٣) ينظر: الألوسي، "روح المعاني"، ٩: ١٣١.

قد يأتي عليها أسلوب التقابل صورة الفاصلة، وهي صورة وردت على نحو ملحوظ في سورة الحج، والتفتت إليها بعض التفاسير، فأشارت إلى ما ورد في السورة من أسلوب التقابل بين فواصل آياتها.

وإن أخص المواضع والمواضيع التي وردت فيها الفاصلة التقابلية التي اتخذت من أسلوب التقابل شكلاً وإطارًا بلاغيًّا لها، كان هو سياق الآيات التي عرض الخطاب القرآني فيها لجزاء المؤمنين في مقابل جزاء الكافرين.

ومن أبرز التفاسير التي التفتت إلى الفواصل التقابلية في سورة الحج نظم الدرر للبقاعي(١)، وتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور(٢)، حيث عرضا في ثنايا حديثهما عن آيات الجزاء لوجه المقابلة بين حال المؤمنين وحال الكافرين يوم القيامة.

والفاصلة التقابلية، أي أسلوب التقابل بين فواصل الآيات، جاءت في سورة الحج على صيغتين:

الصيغة الأولى: التقابل المتضاد:

وهو التقابل الذي يقوم بنيانه بشكل رئيس على التضاد بين المضامين أو الموضوعات المتقابلة التي سيق حولها الكلام في الفاصلة، وقد كانت هذه الصيغة بارزة في كثير من سور القرآن الكريم وآياته، على النحو الذي استلفت أنظار كثير من العلماء، كالزركشي، الذي أشار إلى صيغة التقابل المتضاد عند حديثه عن قوله – تعالى–: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾(٣)، ولإظهار التقابل المتضاد ربط الزركشي بين هذه الآية الكريمة وبين مفتتح السورة، حيث جاء فيه الحديث عن المؤمنين وبعض صفاتهم، فقال: "فإنه أول السورة كان

(١) البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٣١.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٦: ٢٣١.

(٣) سورة البقرة آية: ٦.

حديثنا عن القرآن الكريم وأن من شأنه كيت وكيت، وأنه لا يهدي القوم الذين من صفاتهم كيت وكيت، فرجع إلى الحديث عن المؤمنين فلما أكمله عقّب بما هو حديث عن الكفار، فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت على الأول كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء"[1].

وفحوى كلام الزركشي في إيضاحه للتضاد في هذا التقابل أن هذا التضاد قد برز في سياق هذه الآيات عبر حديث بداية الآيات عن المؤمنين وصفاتهم، ثم انتقالها إلى الحديث عن الكافرين وصفاتهم، فاستبان من هذا الحديث التقابل المتضاد بين المؤمنين وبين الكافرين؛ للتقابل المتضاد بين صفات هؤلاء وصفات أولئك.

واستجلاء للجماليات البلاغية الكامنة في الفواصل التقابلية في سورة الحج التي اتخذ الخطاب القرآني لها صيغة التقابل المتضاد؛ فإن أبرز الفواصل التي وردت فيها هذه الصيغة كانت في الآيات (١٩: ٢٤) التي عرضنا لها في سياق الصعيد الثاني من أصعدة أنساق أسلوب التقابل في السورة الكريمة، وهو التقابل بين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين.

ومن الفواصل الأخرى التي قامت على صيغة التقابل المتضاد في سورة الحج ما جاء في سياق الولاء والنصرة؛ إذ يقول تعالى: ﴿ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾[2] ويقول عز من قائل: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ

(١) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، ١: ٧٧.

(٢) سورة الحج: ١٢، ١٣.

وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾[1].

فمن خلال هذا التضاد يبرز الجمال البلاغي في هذا التقابل بين الفاصلتين؛ فهذا الإله المزعوم من دون الله لا يملك نفعا ولا ضرا، فهو لا يملك من أمره شيئا فناسبته خاتمة بئس العشير ؛ لأن الكافر يوم القيامة يتفطر بالدعاء والصراخ حين يرى تضرره بمعبوده، ودخوله النار بسببه، ولا يرى منه أثر النفع مطلقًا، فهذا الإله المزعوم هو بئس الناصر، وبئس العشير. وهذا على الضد من حال المؤمن مع الإله الحق – سبحانه– الذي به وحده يكون الاعتصام، وبيده وحده تكون النجاة ويكون المنع من الضرر؛ لأنه – سبحانه– المولى الذي يراعي صلاح عبده فيعتصم به عبده، ويرجع إليه لعظم قدرته[2]، وشتان بين وليين هذا شأن كل منهما.

قال العمادي: يقول ذلك الكافرُ يوم القيامةِ بدعاء وصُراخٍ حين يرى تضرُّرَه بمعبوده ودخولَه النَّارَ بسببه ولا يرى منه أثرَ النَّفعِ أصلاً لمن ضره أقرب من نفعه والله لبئسَ النَّاصرُ هو ولبئسَ الصَّاحبُ هو فكيف بما هو ضررٌ محضٌ عارٍ عن النَّفعِ بالكلّيةِ ويجوزُ أن يكون يدعُو الثَّاني إعادةً للأولِ لا تأكيد له فقط بل وتمهيداً لما بعدَهُ من بيانِ سوءِ حالِ معبودِه إثرَ بيانِ سوءِ حالِ عبادتِه بقوله تعالى ذلك هُوَ الضلال البعيد كأنَّه قيلَ من جهتِه تعالى بعد ذكر عبادتِه لما لا يضرُّه ولا ينفعُه يدعو ذلك ثم قيلَ لمَن ضره أقرب من نفعه والله لبئسَ المَوْلى ولبئس العَشيرُ[3].

الصيغة الثانية: التقابل غير المتضاد:

وهو التقابل الذي تتقابل فواصله، ولكن ما يربط بينها ليس علاقة التضاد، بل الاشتمال، حيث يفهم التقابل في الفواصل من خلال ما تشير إليه من مقابل ما تشتمل عليه. وقد جاء التقابل في هذه الصيغة في سورة الحج في عدة فواصل، لعل أوضحه

(١) سورة الحج: ٧٨.

(٢) محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، ١٦: ٣٥٢.

(٣) ينظر: محمد ابن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبي السعود، "تفسير أبي السعود"، ٦: ٩٨.

ما جاء في الفواصل الخمسة التالية:

الفاصلتان الأولى والثانية:

وجاء في أولاهما قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1]، ويقول – سبحانه – في ثانيتهما: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ ﴾[2].

فالتقابل الوارد في الفاصلتين جاء في غير صيغة التضاد، حيث كان لكل آية منهما سياق مختلف فالفاصلة الأولى جاءت خاتمة للحديث عن تمكين الله للمسلمين، أي أنها ارتبطت بنوع خاص من البشر، وهم عباد الله الطائعون، ويقابلها الفاصلة الثانية التي جاءت في سياق الحديث عن النوع الآخر من البشر ألا وهم العصاة.

ويلحظ اتساق هاتين الفاصلتين المتقابلتين حيث ختم – سبحانه– أولاهما بقوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[3]؛ إذ جاء ذلك التعبير مع لفظة التمكين التي تدل على النصرة، وجاء فيه لفظة العاقبة التي تدل على حسن المآل، أما الفاصلة المتعلقة بالعصاة فقد تناسبت مع لفظة المصير، التي يفهم منها العقاب والعذاب، وتشتمل عليهما؛ فيبرز من ذلك هذه الصيغة من التقابل غير المتضاد.

الفاصلة الثالثة:

وجاء فيها قوله تعالى: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ

(١) سورة الحج آية: ٤١.

(٢) سورة الحج آية: ٤٨.

(٣) سورة الحج آية: ٤١.

﴿ ٧٦ ﴾[1]. ويبرز في هذه الفاصلة تناسبها واتساقها مع الفاصلتين السابقتين على محمل من علاقة الاشتمال التي تربط بينها وبينهما، حيث وردت الآية الكريمة في سياق علم الله بخلقه ورجوعهم إليه سواء أكانوا طائعين أم عصاة، فالرجوع هنا يشمل العاقبتين الحسنة والسيئة.

الفاصلتان الرابعة والخامسة:

وجاء في أولاهما قوله تعالى: ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾[2].

وجاء في أولاهما قوله تعالى: ﴿ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُواْ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾[3].

ويظهر التقابل غير المتضاد في الفاصلتين من أن أولاهما قد جاء فيها قوله تعالى: ﴿ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ ﴾ التي تعني الإسلام؛ كما ذكر الماوردي[4] وهو الطريق الصحيح الموصل إلى الحق[5].. وفي ثانيتهما جاء قوله – تعالى–: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾ ﴾وهو أيضًا الإسلام، والتقابل غير المضاد جليٌّ ما بين "صراط الحميد" و"صراط مستقيم"؛ فكلاهما يعني الإسلام، وهو الطريق الصحيح الذي لا

(١) سورة الحج آية: ٧٦.

(٢) سورة الحج آية: ٢٤.

(٣) سورة الحج آية: ٥٤.

(٤) ينظر: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، الماوردي، "النكت والعيون"، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان)، ٤: ١٥.

(٥) ينظر: محمد ابن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبي السعود، "تفسير أبي السعود"، ٥: ١١٤.

وصول إلى الحق بغيره[١].

قال البقاعي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾ قيل: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ الذي وفقهم لسلوك ما يحمدون عليه فيحمدون عاقبة، فكان فعلهم حسناً كما كان قولهم حسناً، فدخلوا الجنة التي هي أشرف دار عند خير جار وحلوا فيها أشرف الحلي كما تحلوا في الدنيا بأشرف. الطرائق، هذا بعد أن حازوا أشرف الذكر في الدنيا عكس حال الكفار في اقتراف ما أدخلهم ما كلما أرادوا الخروج منه اعيدوا فيه، مع ما نالهم من سوء الذكر، بإقبالهم كالبهائم على الفاني مع خسته لحضوره، وإعراضهم عن الباقي مع شرفه لغيابه[٢].

وقال عند قوله تعالى: ﴿صِرَٰطِ مُّسۡتَقِيمٍ﴾: يصلون به إلى معرفة بطلانه، فيوصلهم ذلك إلى سعادة الدارين[٣].

وقال البيضاوي: وهدوا إلى الطيب من القول وهو قولهم الحمد لله الذي صدقنا وعده أو كلمة التوحيد. وهدوا إلى صراط الحميد المحمود نفسه أو عاقبته وهو الجنة، أو الحق أو المستحق لذاته الحمد وهو الله سبحانه وتعالى وصراطه الإسلام[٤].

قال الشهاب الخفاجي: وقوله: أو الحق تفسير آخر للحميد ويجوز كونه اسما لله واضافة الصراط إليه إذا أريد به دين الإسلام بيانية[٥].

---

(١) ينظر: علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، "تفسير الخازن المسمى «لباب التأويل في معاني التنزيل»"، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م)، ٣: ٢٨٦.

(٢) البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٣٢-٣٣.

(٣) البقاعي، "نظم الدرر"، ١٣: ٧٤.

(٤) عبد الله بن عمر، البيضاوي، "أنوار التنزيل وأسرار التأويل"، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ)، ٤: ٦٩.

(٥) أحمد بن محمد بن عمر، شهاب الدين الخفاجي، "عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي (حاشية الشهاب)"، (الطبعة الخديوية ١٢٨٣هـ، تصوير دار صادر، بيروت)، ٦: ٢٩٠.

الخاتمة

في ختام تطواف البحث بسواحل الأنوار في سورة الحج المباركة؛ استشرافًا لظاهرة التقابل بجناحيها – المقابلة والطباق– واستجلاء جمالياتها البلاغية وأبنيتها البيانية؛ تتراءى للبحث مخايل من نتائج وتوصيات تتبلور فيما يمكن التعبير عنه على الإجمال التالي:

أهم نتائج البحث:

١– كان للبلاغيين رؤى اختلفت في غير تنافر حول مفاهيم المصطلحات ذات الصلة بمصطلح التقابل؛ كالطباق، والتكافؤ، والتضاد، والتخالف، والتناقض، إلا أن حاصل هذه الرؤى كان سلْك مفاهيم هذه المصطلحات في سياق اشتراكها في الدلالة على التقابل، وأنها في جملتها تشكل ضروبًا من العلاقات التي يقوم عليها التقابل.

٢– شهدت الدراسات الحديثة نقلة نوعية في مجال الدرس اللغوي واللساني والأدبي، بما كشفت عنه من إغراق البلاغة التقليدية في الجزئية والفصل بين النص وبين جمالياته؛ مما سيطر عليها طويلاً من الوقوف عند حدود الجملة.

وهو ما تمخض عن الاجتياز بالبلاغة وبمبحث التقابل معها إلى أفق نظرة كلية أبعد من حدود الألفاظ والجمل، ترى أن تحقق المعنى لا يكون إلا بربط أجزاء النص.

٣– كان لمبحث التقابل – بحسبانه أحد مباحث البلاغة العربية– حظ كبير في تجلية المضامين الإيمانية، وإبراز معاني الصور البيانية وجماليات السياقات القرآنية، وإظهار ما بينها من ترابط وتكامل وانسجام، لما هو كامن في جمالياته من طاقات بث تحرك النفس إلى المضامين البلاغية، وتستثير الذهن إلى فنون البديع.

٤– وقد امتازت سورة الحج المباركة بأفانين البيان والبلاغة وروائع البديع، من منظور مبحث التقابل.

أبرز التوصيات:

يوصي البحث بمزيد عناية حركة البحث العلمي بالدراسات البلاغية للقرآن الكريم،

في ضوء الإفادة من النقلة النوعية التي أحدثتها المدارس النقدية الحديثة، لتطوير البلاغة العربية؛ وفقًا لهذه النقلة التي تتوافر على كثير من المضامين الجمالية الجديرة بالنظر والاعتبار، على نحو يمكن بدوره أن يفيد من العطاء الدائم للقرآن الكريم، وغِناه بنفائس كنوز الفصاحة والبلاغة والبيان، إلى جانب ما به كنوز الهداية والصلاح والفلاح.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، "معاني القرآن وإعرابه"، (ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

٢- إبراهيم بن عمر البقاعي برهان الدين، "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، (د.ط، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).

٣- أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، "الناسخ والمنسوخ" تحقيق: محمد بن صالح، (ط٢، مكتبه الرشد، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م).

٤- أحمد أبو زيد، "التناسب البياني في القرآن"، (منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، د. ط، ١٩٩٢م).

٥- أحمد بن فارس ابن زكريا، "معجم مقاييس اللغة"، تحقيق: عبد السلام محمد، هارون، (ج ٤، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م).

٦- أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أبو إسحاق، "الكشف والبيان عن تفسير القرآن"، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان).

٧- أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، "الناسخ والمنسوخ"، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد، (ط١، الكويت: مكتبة الفلاح، ١٤٠٨هـ).

٨- أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبو جعفر، "معاني القرآن"، تحقيق: محمد علي الصابوني، (ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ).

٩- أحمد مختار عمر، "علم الدلالة"، (ط٥، عالم الكتب الحديث، الأردن، ١٩٩٨م).

١٠- أحمد مطلوب، "البلاغة العربية المعاني والبيان والبديع"، (ط٢، معهد الإنماء العربي، بغداد، ١٩٨٠م).

١١- إسماعيل بن عمر بن كثير، "تفسير القرآن العظيم"، تحقيق: سامي بن محمد

سلامة،، (ط٢، الرياض، دار طيبة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م).
١٢- تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري ابن حجة الحموي، "خزانة الأدب وغاية الأرب"، تحقيق: عصام شقيو، (دار ومكتبة الهلال، بيروت، دار البحار، بيروت، الطبعة الأخيرة، ٢٠٠٤م).
١٣- جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، "أساس البلاغة"، تحقيق: محمد باسل، عيون السود، (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م).
١٤- حازم القرطاجني أبو الحسن، "منهاج البلغاء وسراج الأدباء"، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، (ط٢، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١م).
١٥- الحاكم محمد بن عبد الله أبي عبد الله النيسابوري، "المستدرك على الصحيحين"، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ-١٩٩٠م).
١٦- الحسن بن رشيق القيرواني أبو على، "العمدة في محاسن الشعر وآدابه"، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (ط٥، دار الجيل، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م).
١٧- الحسين بن مسعود الفراء البغوي أبو محمد، "معالم التنزيل"، تحقيق: خالد عبد الرحمن العك، ومروان سوار، (ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).
١٨- الخليل بن أحمد الفراهيدي، "العين"، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، (ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م).
١٩- ربحي كمال، "التضاد في ضوء اللغات السامية"، - دراسة مقارنة-، (ط١، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٥م).
٢٠- رجاء عيد، "فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور"، (منشأة المعارف، الإسكندرية، د. ت).
٢١- سليمان الطوفي، "الإكسير في علم التفسير"، تحقيق: عبد القادر حسين، (ط١، مكتبة الآداب ومطبعتها، القاهرة، ١٩٧٧م).

٢٢- سليمان بن الأشعث، أبي داود السجستاني الأزدي، "سنن أبي داود" (ط١، دار الجنان، بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م).

٢٣- ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد، "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، (دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة).

٢٤- عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز"، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٢٥- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "الإتقان في علوم القرآن"، (د.ط، القاهرة: الهيئة المصرلية العامة للكتاب، د.ت).

٢٦- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، "الدر المنثور في التفسير بالمأثور"، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م).

٢٧- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، "لباب النقول في أسباب النزول"، (دار إحياء العلوم، بيروت).

٢٨- عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، "معترك الأقران في إعجاز القرآن"، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م).

٢٩- عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، "زاد المسير في علم التفسير"، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ).

٣٠- عبد الرحمن بن محمد مخلوف الثعالبي، "تفسير الثعالبي، المعروف بـ«الجواهر الحسان في تفسير القرآن»"، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت).

٣١- عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني أبو بكر، "المصنف"، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، (ط٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ).

٣٢- عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني أبو بكر، "تفسير عبد

الرزاق"، تحقيق: د. محمود محمد عبده، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ).
٣٣- عبد القاهر الجرجاني، " أسرار البلاغة"، صححها: محمد رشيد رضا، (دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
٣٤- عبد الله ابن المعتز، "البديع"، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس: إغناطيوس كراتشقو فسكي، (دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م).
٣٥- عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد، "الشعر والشعراء"، (ط٤، دار الثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٠م).
٣٦- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، "غريب الحديث"، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، (مطبعة العاني، بغداد، ط (١)، ١٣٩٧هـ).
٣٧- عبد المتعال الصعيدي، "بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح"، (ط١٧، مكتبة الآداب، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٣٨- عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم المعروف بابن الفرس، "أحكام القرآن"، تحقيق: طه بن علي بوسريح، (ط١، دار ابن حزم، بيروت، ١٤٢٧هـ).
٣٩- عبد الواحد بن علي ابو الطيب اللغوي، "كتاب الأضداد في كلام العرب"، عني بتحقيقه: عزة حسن، (ط٢، دار طالاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٩٦م).
٤٠- عثمان بن سعيد الأموي الداني أبو عمرو، "البيان في عدّ آي القرآن"، تحقيق: غانم قدوري الحمد، (ط١، مركز المخطوطات والتراث، الكويت، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م).
٤١- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، "تفسير الخازن المسمى «لباب التأويل في معاني التنزيل»"، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م).
٤٢- علم الدين السخاوي، "جمال القراء وكما الإقراء"، تحقيق: مروان العطية، وغيره، (ط١، دار المأمون، دمشق، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م).
٤٣- علي الحسيني الجرجاني الحنفي، "التعريفات"، تحقيق: نصر الدين تونسي، (ط

١، شركة القدس للتصدير، القاهرة، ٢٠٠٧م).
٤٤- علي بن أحمد الواحدي، "التفسير البسيط"، (د.ط، دبلن: مكتبة شستربيتي، د.ت).
٤٥- علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي أبو محمد، "الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: د. عبد الغفار سليمان البنداري، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م).
٤٦- علي بن إسماعيل ابن سيده أبو الحسن، "المحكم والمحيط الأعظم" تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م).
٤٧- عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الجاحظ، "الحيوان"، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٢)، ١٤٢٤هـ.
٤٨- قدامة بن جعفر أبو الفرج، "نقد الشعر" تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع، ط(٣)، د.ت.
٤٩- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، "القاموس المحيط"، تحقيق: أنس محمد، الشامي، زكريا جابر، أحمد، (القاهرة، دار الحديث، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م).
٥٠- محمد ابن محمد بن مصطفى العمادي، المولى أبي السعود، "تفسير أبي السعود المسمى بـ«إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم»"، (نشر مطبعة عبد الرحمن محمد، القاهرة).
٥١- محمد الطاهر بن عاشور، "التحرير والتنوير"، (الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط، ١٩٨٤م).
٥٢- محمد الهادي الطرابلسي، "خصائص الأسلوب في الشوقيات"، (منشورات الجامعة التونسية، ١٩٨١م).
٥٣- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، "مختار الصحاح"، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط جديدة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م).

٥٤- محمد بن أحمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن" (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).

٥٥- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، "ميزان الاعتدال في نقد الرجال"، تحقيق: الشيخ علي محمد معوض، وآخرين، (ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م).

٥٦- محمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي، "التسهيل لعلوم التنزيل"، (ط٤، دار الكتاب العربي، لبنان، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م).

٥٧- محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أبو بكر، "جمهرة اللغة"، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (ط١، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م).

٥٨- محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، "الأضداد"، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

٥٩- محمد بن أيوب بن يحيى بن الضريس بن يسار الضريس البجلي الرازي أبو عبد الله، "فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة"، تحقيق: غزوة بدير، (ط١، دار الفكر، دمشق، سورية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م).

٦٠- محمد بن زيد بن ماجه أبو عبد الله، "سنن ابن ماجه"، تحقيق: بشار عواد، (ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م).

٦١- محمد بن عبد الرحمن القزويني جلال الدين، "الإيضاح في علوم البلاغة"، قدم له وبوبه وشرحه، علي بو ملحم، (ط٢، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ١٩٩١م).

٦٢- محمد بن عبد الرحمن القزويني جلال الدين، "تلخيص المفتاح"، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، (دار الفكر العربي).

٦٣- محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، "البرهان في علوم القرآن"، تحقيق: يوسف المرعشلي وآخرين، (ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٦٤- محمد بن علي الشوكاني، "فتح القدير"، (ط١، دمشق، بيروت: دار ابن كثير، دار

الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ١٤١٤هـ).
٦٥- محمد بن عيسى الترمذي، "سنن الترمذي"، تحقيق: أحمد شاكر، (ط٢، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).
٦٦- محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب"، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، (د.ط، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٠م).
٦٧- محمد عبد المطلب، "البلاغة العربية، (قراءة أخرى)"، (ط٢، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧م).
٦٨- محمد عبد المنعم خفاجي، "نحو بلاغة جديدة"، (مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٠م)، وعبد العزيز عتيق، "علم البديع"، (دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت).
٦٩- محمود البستاني، "القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي"، (جمع البحوث الإسلامية، ١٩٩٣م).
٧٠- محمود بن أحمد بن موسى العيني أبو محمد، "عمدة القاري شرح صحيح البخاري"، (ط١، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م).
٧١- محمود بن عبد الله الألوسي، "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ).
٧٢- محمود بن عمر الزمخشري، "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، تحقيق عادل عبد الموجود، وعلي محمد معوض، (ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م).
٧٣- محيي الدين الدوريش، "إعراب القرآن وبيانه"، (ط٩، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ٢٠٠٥م).
٧٤- مكي بن أبي طالب القيسي أبو محمد، "الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ومعرفة

أصوله واختلاف الناس فيه"، تحقيق: د. أحمد حسن فرحات، (ط١، دار المنارة، جدة، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٧٥- منى علي سليمان الساحلي، "التضاد في النقد الأدبي" (منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، د ط، ١٩٩٦م).

٧٦- هبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري أبو القاسم، "الناسخ والمنسوخ"، تحقيق: زهير الشاويش، محمد كنعان، (ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤هـ).

٧٧- يحيى بن معطي، "البديع في علم البديع"، تحقيق ودراسة د: محمد مصطفى أبو شارب، (ط١، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ٢٠٠٣م).

٧٨- يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي، " مفتاح العلوم"، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، (ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م).

فهرس الموضوعات

المقدمة	١٨٨
المبحث الأول: مفهوم التقابل والمصطلحات ذات الصلة	١٩٥
المطلب الأول: التعريف بالتقابل في اللغة والاصطلاح.	١٩٥
المطلب الثاني: المصطلحات ذات الصلة.	١٩٩
المبحث الثاني: التقابل بين القديم والحديث	٢١١
المطلب الأول: التقابل عند القدماء.	٢١١
المطلب الثاني: التقابل عند المحدثين.	٢١٨
المبحث الثالث: آيات التقابل في سورة الحج	٢٢٤
المطلب الأول: التعريف بسورة الحج.	٢٢٤
المطلب الثاني: آيات التقابل في سورة الحج.	٢٣١
الخاتمة.	٢٥٨
المصادر والمراجع.	٢٦٠
فهرس الموضوعات	٢٦٨